



٣٧



السماء المظلمة

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

المؤلف



د. نبيل فاروق

السماء المظلمة

- لماذا يحاول الغزاة الزُّرق منع ضوء الشمس من الوصول إلى الأرض ؟
- كيف يواجه (نور) رفاقه وهم أعداء ، ويقاتلهم بشراسة من أجل الأرض ؟
- تُرى .. أينجح (نور) فى إنقاذ الأرض هذه المرة ، أم يلقى حتفه تحت (السماء المظلمة) ؟
- اقرإ التفاصيل المثيرة ، واشترك مع (نور) فى حل اللغز .

٣٧



الثمن فى مصر

وما يعادل دولارا أمريكيا فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ شارع كامل صدقى بالفجالة - القاهرة - ت ٩٠٨٤٥٨

العدد القادم : من وراء النجوم



١ ــ لقاء فى منتصف الليل ..

عاد الدكتور (صبرى عبد الله) ــ العالم الفلكى المصرى المعروف ــ إلى منزله ، مع دقات منتصف الليل تمامًا ، وفتح باب المنزل ، وهو يطلق من بين شفتيه صفيرًا منغَّمًا ، وتثاءب فى قوة وهو يغلق الباب خلفه ، ثم لم يلبث أن ابتسم وهو يحادث نفسه مغمغمًا :

ــ كيف حالك أيها المنزل الخالى المسكين ؟. هل افتقدتنى هذا اليوم أيضًا ؟

كان يعبُر ردهة منزله بعينيه ، وهو يحادث المنزل كما لو كان صديقًا عزيزًا ، عندما توقَّف بصره فجأة عند نقطة ما ، وارتجف جسده ارتجافة قويَّة ، واحتبست الكلمات فى حلقه ، واتسعت عيناه خوفًا وهو يحدِّق فى هذه النقطة ..

فهناك ، وعلى الضوء الخافت المتسلِّل من النافذة

الزجاجية الصغيرة ، التى تزيّن الردهة ، رأى الدكتور (صبرى) ظلًّا ساكنًا ، تؤكد ملامحه أنه رجل ، تغطّى الظلال أعظم مما تكشف من وجهه .. لا .. ليس هناك من شك ، إنه رجل يجلس ساكنًا صامتًا فوق المقعد المجاور للنافذة ، ولكن الدكتور (صبرى) يكاد يقسم إنه يلمح بريق عينيه برغم الظُلمة ..

حاول الدكتور (صبرى) أن يسأل عمَّن يكون ذلك المتسلِّل ، ولكن التوتُّر الشديد الذى يشعر به فى أعماقه ، حبس الكلمات فى حلقه ، وانتفض جسده فى قوة ، حينما انبعث من ذلك الظلّ الساكن صوت هادئ خافت ، يقول فى ضعف :

ــ كيف حالك يا دكتور (صبرى) ؟

حطَّمت العبارة ذلك الجمود الذى سيطر على حواسّ الدكتور (صبرى) فقفز فجأة ، وأضاء مصباح الردهة بحركة سريعة ، ثم التفت يحدِّق فى وجه زائره .. ولم

يكد يفعل حتى تراجع فى مزيج من الدهشة والخوف ، وهو يهتف :

ــ يا إلهى !! أنت ؟!

ابتسم الشاب الجالس أمامه ابتسامة شاحبة ، توحى بالإرهاق الشديد ، وقال فى صوت هادئ ضعيف :

ــ هل تثير رؤيتى فى نفسك كل هذا التوتُّر يا صديقى ؟.. إنه أنا .. الرائد (نور الدين محمود) ، ألَمْ تعرفنى بعد ؟.

* * *

مضت دقائق لا يدرى أحد عددها ، والدكتور (صبرى) يحدِّق فى وجه (نور) صامتًا ، ثم لم يلبث أن ازدرد لعابه فى صعوبة ، وتمتم فى صوت أجشّ ، منفعل :

ــ كيف دخلت إلى هنا يا (نور) ؟.. وما الذى أتى بك فى مثل هذا الوقت ؟

عادت الابتسامة الشاحبة تتسلَّل فى صعوبة إلى شفتى (نور) ، وبدا وكأنه يبذل مجهودًا خرافيًا للاحتفاظ بعينيه مفتوحتين ، وهو يقول :

ــ ماذا أصابك يا دكتور (صبرى) ؟.. ألا تعلم أن التدريبات التى نتلقاها فى المخابرات العلمية ، تؤهلنا لاقتحام حصن قوىّ ، لا مجرَّد منزل صغير كهذا ، حتى ولو كان مزوَّدًا بعدد من أجهزة الإنذار الإلكترونية ، أو الأقفال المبرمجة بالكمبيوتر .

وجدت الابتسامة طريقها أخيرًا إلى شفتى الدكتور (صبرى) ، بعد أن تلاشى جزء كبير من توتُّره ، واقترب فى هدوء من (نور) وهو يقول :

ــ حسنًا يا صديقى ، دَعْنا نركز جهودنا على الجزء الثانى من السؤال ، وهو ما الذى أتى بك إلى منزلى فى مثل هذه الساعة ؟

رفع (نور) حاجبيه فى دهشة ، وهو ينظر إليه ، ثم غمغم فى لهجة تنم عن السخرية والمرارة فى آن واحد :

ــ عجبًا !!.. ألا تشاهد الصحف المرئية يا صديقى ؟

مطَّ الدكتور (صبرى) شفتيه ، وهو يقول فى مرح :

ــ علماء الفلك يقضون أوقاتهم فى مشاهدة النجوم والكواكب ، ومَوْلد المجرات وفنائها ، ولا ريب أن قلوبهم تذوب فى عشق خلق الله (سبحانه وتعالى) ، حتى أنهم يملُّون مشاهدة أى عرض آخر .

تنهَّد (نور) وهو يقول فى إرهاق واضح :

ــ أنت تحتاج إذن إلى معرفة القصة منذ البداية .

وقبل أن يكمل (نور) عبارته ، أو يبدأ فى شرح القصة ، أوقفه الدكتور (صبرى) بابتسامة تفيض ودًّا وصداقةً ، وقال وهو يربِّت على كتفه فى أخوَّة واضحة :

ــ ليس الآن يا صديقى العزيز ، إنك تبدو كمن لم يذق طعم النوم منذ عام كامل ، ستستحم أولًا ، وتبدِّل

ثيابك ، وتتناول وجبة شهيّة ، ثم تستغرق فى نوم عميق حتى الصباح ، وبعدها ....

قاطعه (نور) ، وهو يقول باسمًا :

ـ سأوافقك على اقتراحك كله عدا نقطة النوم يا صديقى ، فلا بدَّ لى من أن أشرح لك الأمر أولًا ، إذ من يدرى ، لعل الصباح يغيِّر من آرائك تمامًا ، أو على الأقل من حماسى أنا .

* * *

كانت الساعة تشير إلى الثانية والنصف صباحًا ، حينما انتهى (نور) من رشف كوب الشاى الساخن ، وتنهَّد فى ارتياح ، وهو يقول للدكتور (صبرى) فى لهجة امتنان :

ـ شكرًا يا صديقى ، إننى مدين لك بحياتى .. فقد أعادنى ذلك التصرُّف الحضارىُّ إلى النشاط والصفاء الذهنى الذى أحتاج إليه ، حتى ينتهى ما أسعى خلفه .

سأله الدكتور (صبرى) فى اهتمام ، وهو يسترخى فى مقعده :

ـ هلَّا قصصت علىَّ الأمر من بدايته يا (نور) ؟

استرخى (نور) بدوره فى المقعد المقابل ، وقال :

ـ أعِرْنى سماعك جيِّدًا إذن ، فكثيرون لا يمكنهم تصديق كلمة واحدة مما سأقصُّه عليك .

صمت (نور) لحظة وكأنه يستجمع أفكاره ، ثم انطلق يقول فى استطراد :

ـ أنت تذكر بالطبع صديقنا القديم الدكتور (فؤاد عيسى) ، وتعلم ما أصابه بعد الاتهام الذى يحاكَم من أجله الآن ، بتهمة قتل واحد من مرضاه فى مستشفى (مرسى مطروح) ، وهذا القتيل يدعى الدكتور (وليد عبد الحكيم) ، وهو واحد من علماء مصر المعدودين فى علم الآثار .. ولقد أقسم الدكتور (فؤاد) أنه لم يمسّ القتيل ، ولكنه شاهد القاتل ، ثم ألقى مفاجأته ، ألا وهى أن القاتل أزرق البشرة ، أحمر العينين بلون الدم ، أصلع الرأس تمامًا ، كل ما يرتديه أزرق اللون ، وهذا

الوصف يبدو خياليًا إلى أقصى حد ، بالإضافة إلى أن حرَّاس الأمن أكَّدوا أن أحدًا لم يدخل المستشفى أو يخرج منه طوال الليل .. وهكذا أحكمت الخيوط حول الدكتور (فؤاد) ، لولا أن توصَّلت — عن طريق صحفيَّة شابة — إلى وسيلة وصول هذا القاتل إلى المستشفى ، دون أن يراه أحد حرَّاس الأمن ، وهذا عن طريق الجوّ ، حيث يهبط بطوَّافة ما على سطح المستشفى .. ولقد تأكَّدت بوسيلة ما من صحَّة هذا الاستنتاج ، وبناء عليه ذهبت وزوجتى ، بصحبة زميلين يعاونانى عادة فى القضايا العلمية المعقَّدة ، إلى الصعيد ، إلى الصحراء الجبلية المتاخمة لقرية (أولاد عمرو) فى محافظة (قنا) على وجه الدِّقة .. وهناك وجدنا أسطورة تتحدَّث عن رجال زرق ، يثيرون الخوف والفزع فى وادى (أولاد عمرو) .. وهناك واجهنا أحد هؤلاء المسوخ الزُّرق ، وهاجمنا بقوة لم أرَ لها مثيلًا ، وأفقدنى الوعى ، وحين استعدت وعيى ، فوجئت أن

الجميع فقدوا ذاكرتهم تمامًا ، فيما يختص بهذا الحادث ، وقاتلت حتى أثبتّ حدوثه بالفعل .. ثم فوجئت أن هؤلاء الغزاة الزُّرق قد أوقعوا زوجتى وزميلىَّ (رمزى) و (محمود) تحت سيطرتهم تمامًا ، وصنعوا منهم محاربين لى ، حتى أننى اضطررت لقتالهم ، والهرب منهم إلى الوادى الملعون مرة أخرى .. وهناك عثرت على مركز هؤلاء الغزاة ، وكشفت أنهم يعدُّون العُدَّة لغزو كوكب الأرض بأكمله ..

كان الدكتور (صبرى) يستمع إلى (نور) فى صمت منذ البداية ، مكتفيًا برفع حاجبيه دهشةً ، أو عقدهما ، أو مطِّ شفتيه دون تعليق ، إلَّا أنه مع عبارة (نور) الأخيرة ، وجد نفسه يهتف مذهولًا :

— غزو الأرض؟.. يا إلهى !! أأنت واثق مما تتفوَّه به يا (نور) ؟

أومأ (نور) برأسه ، وقال فى حزن :

— كلَّ الثقة للأسف يا صديقى .

ثم عاد يتابع :

ــ ولقد نجوْت بأعجوبة من هؤلاء الغزاة الزُّرق ، وحاولت اللُّجوء إلى إدارة المخابرات العلمية ، ولكن الغزاة بدَّلوا بطاقة الكمبيوتر الخاصة بى هناك مما جعلنى أبدو محتالًا ، وفى الوقت نفسه أذاعت (مشيرة محفوظ) ، صحفية (أنباء الفيديو) ، بيانًا يحذِّر الناس منِّى ، ويطالبهم بإلقاء القبض علىَّ ، بعد أن وقعت (مشيرة) أيضًا تحت سيطرة الغزاة ، ولم يعد أمامى إلَّا أن ألجأ إلى الدكتور (محمد حجازى) ، أستاذى فى الطبِّ الشرعىِّ ، وبعد أن شرحت له الأمر فوجئت به يحاول قتلى ، وتبيَّنت أنه أيضًا قد سقط أسيرًا للسيطرة العقلية التى يمتلكها الغزاة الزُّرق ، ولكننى نجحت فى التغلُّب عليه[*] والاختفاء طيلة الصباح ، وأنا أفكِّر فى أفضل مكان يمكننى اللُّجوء إليه ، وهنا تذكرتك ،

(*) كل هذه الأحداث التى يقصها (نور) هى ملخص الجزء الأول من القصة .. راجع (الموت الأزرق) .. المغامرة رقم (٣٦)

فنحن صديقان منذ سنوات الدراسة الأولية ، وأنت عَزَب تقيم وحدك ، ثم إنك مخلص شهم إلى حدٍّ يدعو للثقة .. أضف إلى هذا وذاك أنك عالم فلك ، وهذا ما أحتاج إليه بالضبط فى الوقت الحالى .

ظلَّ الدكتور (صبرى) صامتًا ، ساكنًا ، يتأمَّل فى (نور) فى هدوء ، وإن نمَّت ملامحه عن الصراع العنيف ، الذى يدور فى أعماقه ، حتى فتح شفتيه فى النهاية ليقول :

ــ حسنًا يا (نور) ، إننى أصدِّقك .

سأله (نور) فى هدوء :

ــ أأنت واثق من ذلك ؟

أومأ برأسه وهو يقول فى إخلاص :

ــ تمام الثقة يا (نور) .

ثم نهض من مقعده ، وأشار إلى النجوم التى تزيِّن السماء ، والتى تبدو واضحة خلف النافذة الزجاجية ، وقال فى انفعال :

— إنك تتحدث عمّا كنت أخشاه منذ زمن طويل .. الغزو .. إن الإنسان يمتلك قدرًا من الغرور كفيل بتحطيمه يومًا ما ، فمع مليارات الكواكب الصالحة للحياة فى هذا الكون الشاسع اللانهائىّ ، يظن نفسه المخلوق الوحيد العاقل والذكى ، الذى سمح له بالحياة على ظهر كوكب صغير ، لا يبدو إلّا كنقطة ميكروسكوبية فى بحر الفضاء الرحب ، ولكننى كنت أعلم وأنا أراقب هذه النجوم ليل نهار ، وأتصوّر ما يحيط بكل منها من كواكب ، أن هذا الغزو آت لا محالة .. كنت أعلم أنه سيأتى اليومُ الذى يتحطّم فيه غرور الإنسان بغزو من وراء النجوم .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى حزم :

— محال أن نسمح لهؤلاء الغزاة الزُّرق بالانتصار يا صديقى .

التفت إليه الدكتور (صبرى) فى حِدَّة ، وقال :

— بالطبع يا صديقى ، سنقاتل من أجل كوكب الأرض .

مدَّ (نور) كفه إلى هذا الحليف الجديد ، وأسرعت كفّ الدكتور (صبرى) تلتقى بكفّ (نور) ، وعلى وجهيهما أشرقت ابتسامة ، تفيض حزمًا وعزمًا ، ابتسامة تقول إن الأرض لن تسمح باحتلالها ، حتى ولو اشتعلت الحرب بينها وبين الغزو الأزرق .

* * *



٢ ــ فى الأوراق الرسميَّة ..

تصلَّبت قبضتا القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية ، فوق مَسْنَدىْ مقعده الوثير ، داخل حجرة القيادة ، وأراد التظاهر بالهدوء ، إلَّا أن الحزن الذى عجزت ملامحه عن إخفائه ، فضح طبيعة ما تموج به نفسه ، وهو يقول بصوت متهدِّج حزين :

ــ يا إلٰهى !! إنه أمر عسير التصديق ، حتى أننى أُصِرُّ على سماعه مرَّة أخرى ، لأتأكد من أننى لم أفهم شيئًا ما ، بطريقة تخالف ما تقصدونه منها .

انتهى من عبارته ، وتعلَّق بصره بشفاة (سلوى) ، التى أجهشت ببكاء حار ، وهى تدفن وجهها بين كفَّيها ، و (محمود) الذى خفض عينيه الدامعتين فى حزن وأسًى ، و (رمزى) الذى كفكف دموعه ، وهو يقول فى صوت أشدَّ تهدُّجًا من صوت القائد الأعلى :

ــ نحن أيضًا نعجز عن تصديق ما حدث ، لولا أن رأيناه بأنفسنا يا سيِّدى ، صدِّقنى .. إنها خسارة فادحة .

تحجَّرت دمعتان فى عينى القائد الأعلى ، وهو يغمغم :

ــ وأيَّة خسارة يا (رمزى) !!

عاد (رمزى) يقول :

ــ لقد كنا هناك .. فى وادى (أولاد عمرو) ، حينما كشف (نور) أن قاتل الدكتور (وليد عبد الحكيم) هو رجل متنكِّر ، ودارت بينهما معركة قاسية ، ثم بدَّل هذا القاتل ملامحه بمهارة مذهلة ، حتى أصبح صورة طبق الأصل من (نور) ، حتى نحن كنا نعجز عن التمييز بينهما فى بعض الأحيان ، وأعتقد أن القاتل قد استعان بجراح تجميل ممتاز .

قال القائد الأعلى فى ألمٍ :

ــ وأين دار الصراع الأخير يا (رمزى) ؟

أطرق (رمزى) أرضًا ، ومضت فترة من الصمت ، لم يسمع أحدهم خلالها سوى صوت بكاء (سلوى) ، ثم قال (رمزى) فى صوت يحمل أنّات الألم والحزن :

ـــ فى وادى (أولاد عمرو) أيها القائد ، لقد تصارعا على بعد أمتار قليلة منّا ، ثم أطلق ذلك الشبيه مسدسه على (نور) ، ولا ريب أنه قد ابتكر سلاحًا جديدًا ، أشدّ فتكًا من الليزر ، إذ أن (نور) تحلّل فجأة ، واحترق دفعة واحدة ، مخلّفًا كومة من الرماد البشرىّ ، لم تلبث أن اختلطت برمال الوادى ، و . . . ، و . . . .

وبدا وكأن الكلمات تحتبس فى حلقة من شدّة الحزن ، فتوقّف عن المتابعة ، وساد صمت ثقيل ، قطعه القائد الأعلى بقوله :

ـــ وهكذا فقدنا الرائد (نور) .

صاحت (سلوى) فى لوعة :

ـــ نعم أيها القائد ، فقدناه إلى الأبد .

انفجرت (سلوى) فى بكاء حار بعد هذه العبارة ، على حين لزم الجميع الصمت ، إلى أن هدأت (سلوى) قليلًا ، فقال القائد الأعلى ، وهو يضغط حروف كلماته ، بطريقة تنم عمّا يجيش به صدره من حزن وغضب :

ـــ ولكننا لن نفقده رخيصًا ، سننتقم من قاتله أشد الانتقام .. لقد بلغت من جرأة هذا القاتل الحقير ، أنه قَدِم إلى هنا محاولًا الدخول فى شخصية (نور) ، لولا أن كشفه جهاز التحقُّق من الشخصية .

غمغم (محمود) :

ـــ يا لجرأته !!

مطَّ القائد الأعلى شفتيه ، وقال :

ـــ لن تفيده هذه الجرأة حينما ننطلق جميعًا فى أثره ، إنه لن يلبث أن يقع فى أيدينا مهما بلغت مهارته .. وصدّقونى .. إننا لن ندّخر جهدًا فى سبيل ذلك ، سنقاتل جميعنا من أجل القضاء على الرائد (نور) الزائف .

ثم مدّ يده إلى (سلوى) ، قائلاً فى احترام :

ــ تقبَلى تعازىَ يا سيّدتى ، إنها المرة الأولى التى نلتقى فيها وجها لوجه ، ولكنها لن تكون الأخيرة .. إننا ندين لزوجك بالكثير ، زوجك المرحوم البطل الرائد (نور الدين محمود) .

* * *

لم يكد المقام يستقر بأفراد الفريق الثلاثة داخل سيارتهم ، حتى أدار (رمزى) محركاتها ، وانطلق بها فى هدوء ، ثم يسأل (سلوى) بلهجة عجيبة :

ــ هكذا نكون قد انتهينا منه .. أليس كذلك ؟

أجابته وهى تحدّق فى الطريق بعينين شاردتين :

ــ نعم .. لقد أثبتنا وفاته فى أوراق رسمية .

قال (محمود) ، وهو يبدو أكثر شرودًا منهما :

ــ إذن فقد انتهى رسميًا الرائد (نور) .

قالت (سلوى) :

ــ انتهى فى الأوراق فقط يا (محمود) ، ولكنه مازال حيًا يرزق ، ويسبّب قلقا بالغًا لسادتنا الزُّرق .

غمغم (رمزى) :

ــ لقد وعدناهم بتعقُبه وقتله .. ألا يكفيهم هذا ؟

غمغم (محمود) و (سلوى) فى صوت واحد ، وبشرود رهيب :

ــ نعم .. نتعقّبه ، ونقتله .. من أجل سادتنا الزُّرق .

كان الغزاة الزُرق يسيطرون على عقولهم تمامًا ..

كانوا قد صنعوا منهم جيشًا من الخونة على الرغم منهم ..

كانت (سلوى) تطارد زوجها ، وتسعى إلى قتله ..

و (رمزى) و (محمود) يتعقّبان صديقهما ، وقائدهما لتحطيمه ..

كان كل منهم يستغل مواهبه وخبراته ، ومعرفته الطويلة بـ (نور) ..

ولم يكن أحدهم يدرى أنهم بقضائهم على (نور) ، إنما يقضون على الأمل الوحيد فى النجاة أمام كوكب الأرض

وأنهم يسعون لخنق الرجل الذى يسعى لإنقاذهم ..

ولكنهم لا يعلمون ..

وهو لا يستسلم أبدًا ..

وهنـاك تكمن عناصر القتـال ..

* * *



٣ ـ ساحة المعركة ..

فتح الرائد (نور) عينيه بغتةً ، وامتدَّت يده فى سرعة ، تختطف مسدسه الليزرىّ من أسفل الوسادة ، وقفز واقفًا وهو يصوِّبه إلى الرجل الواقف أمامه ، والذى ضحك فى دهشة وهو يقول :

ـ يا إلهى !!.. هل ستقتلنى لمجَرد أننى أيقظتك يا (نور) ؟.. إنها الثانية عشرة ظهرًا .

تأمَّل (نور) وجه صديقه ، العالم الفلكى الدكتور (صبرى) ، ثم داعب خصلات شعره المتناثرة على جبينه ، وهو يعيد مسدسه الليزرىّ أسفل الوسادة ، ويقول فى خمول :

ـ معذرة يا صديقى ، لا ريب أننـى متوتِّـر للغاية .. إننى أتصوَّر وجود هؤلاء الغزاة الزُرق فى كل مكان .

أومأ (صبرى) برأسه ، وكأنه يعلن تفهُّمه للحالة النفسية التى يمرُّ بها (نور) ، ثم ناوله كوبًا من الشاى الساخن ، تصاعدت منه إلى أنف (نور) رائحة النعناع المعطَّر ، فرشف منه رشفة وهو يقول :

ـــ أنت تدلِّلنى كثيرًا يا صديقى ، وأخشى أن أفقد بهذا روح القتال .

غمغم الدكتور (صبرى) ، وهو يتأمَّل (نور) فى شرود :

ـــ لقد كنت تحتاج حقًّا إلى هذا القدر من النوم يا (نور) ، ستدهشك كمية النشاط التى سيستعيدها جسدك بعدها .

ثم أردف وهو يعقد حاجبيه ، وتبدو فى ملامحه دلالات التفكير العميق :

ـــ هل أنت واثق من أن فريقك قد انقلب ضدَّك ، تحت السيطرة العقلية للغزاة الزُّرق ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـــ نعم بكل أسف يا صديقى ، وهذا يؤكد مدى براعة وذكاء هذا الجنس الأزرق ، فهم يطلقون خلفى أكثر الناس معرفة بى ، ولا ريب أن رفاق السابقين وزوجتى ، سيستغلّون مهاراتهم ومعرفتهم بى أبشع استغلال ، حتى يمكنهم العثور علىّ وتدميرى .

مطَّ الدكتور (صبرى) شفتيه ، وقال فى ضيق :

ـــ يبدو أنهم نجحوا فى ذلك إلى نحو ما ، فلقد أذاعت المخابرات العلمية صباح اليوم بيانًا ، تنعَى فيه الرائد الراحل (نور الدين) ، وتحذر المواطنين من قاتل مزيَّف ، ينتحل شخصيته وهيئته تمامًا .

لم تبد الدهشة على وجه (نور) ، برغم غرابة ما سمعه وخطورته ، ولكنه اكتفى بابتسامة مريرة ، وهو يقول فى صوت أقرب إلى الهمس :

ـــ كنت أتوقَّع هذا على نحو أو آخر ، منذ تبدَّلت البطاقة الخاصة بمسامِّى ، فى كمبيوتر الإدارة .

ثم اشتدت ابتسامته مرارةً ، وهو يردف :

ـ إنهم يلعبون جيِّداً هؤلاء الزُّرق .. ألـيس كذلك ؟

أمَّن الدكتور (صبرى) على قوله بإيماءة من رأسه ، وقال :

ـ وهذا يحتاج منَّا إلى إعداد كل ما نستطيع من قوة لهزيمتهم يا (نور) .

قال (نور) فى اهتمام ، وهو يرتدى ثيابه :

ـ لقد أخبرتك بكلٍّ ما يخص طبيعتهم يا (صبرى) .. ألم يمكنك بعد التوصُّل إلى الكوكب الذى أتوا منه ؟

لوَّح (صبرى) بكفِّه ، وقال :

ـ استنتاجاتك الخاصة بكوكبهم ، والتى استنتجتها من ملامحهم ولونهم صحيحة يا (نور) ، فنحن أمام غزاة أتوْا من مجموعة شمسية تشبه مجموعتنا الشمسية : ومن كوكب تعلو فيه نسبة ثانى أكسيد الكربون على نسبة الأكسوجين ، وجاذبيته تقل بعض الشيء عن جاذبية الأرض .. هذا صحيح .

ثم أدار ذراعه فى الهواء ، مستطردًا :

ـ ولكن هناك آلاف الكواكب التى تنطبق عليها هذه الأوصاف يا (نور) .. إن الكون رحب متسع ، بأكثر مما تتصوَّر آلاف المرات ، ثم إننى لا أجد ما يفيدنا فى تعرُّفنا كوكبهم .

غمغم (نور) :

ـ لا بدَّ لنا من معرفة كل شيء عنهم .

هتف (صبرى) فى اعتراض :

ـ وفيمَ تفيدنا معرفة كوكبهم الأم ؟

صاح (نور) فى حِدَّة مفاجئة :

ـ نتعرَّف نقطة ضعفهم على الأقل .. لقد لكمت أحدهم ، وكادت قبضتى تتهشَّم .. فهم يمتلكون أجسامًا كالفولاذ ، بل إننى أطلقت عليهم أشعة اللِّيزر ، فلم تُخْدش أجسامهم خدشًا واحدًا ، وربما أمكننى العثور على نقطة ضعفهم حينما نعثر على كوكبهم ، فلا يوجد إنسان واحد غير قابل للهزيمة فى هذا الكون ، ما دام واحدًا من مخلوقات الله (عزَّ وجل) .. المهم أن تعرف من أين تؤكل الكتف !!

ابتسم الدكتور (صبرى)، وقال وهو يتأمَّل فى ملامح (نور) فى إشفاق :

ــ لقد انقلب العالم كله عليك ، وما زلت ترغب فى إنقاذه يا (نور) .

صمت (نور) لحظة ، ثم قال :

ــ هذا العالم هو أمى ، وأبى ، وزوجتى ، وابنتى ، وأشقائى يا دكتور (صبرى) ، ولو أننى تركته يفنَى ، أو يسقط قيد الاحتلال ، أكون قد دمرت كل من أحبّ ، ولست مستعدًّا لذلك ، حتى ولو حاربونى جميعًا .

وسرت ابتسامة على شفتيه ، وهو يقول :

ــ سأنقذهم على الرغم من أنوفهم .

بادله الدكتور (صبرى) الابتسام ، ثم قال فى جدِّيَّة واهتمام :

ــ والآن .. أين سنبدأ قتالنا مع الغزاة ؟

برقت عينا (نور) ببريق الحزم ، وهو يقول :

ــ سنختار ساحة قتال لن يمكنهم تصوُّرها يا دكتور (صبرى) .. إنهم يتصوَّرون أن إحكامهم النطاق حولى سيدفعنى حتمًا إلى الهرب الدائم ، بحيث يتحوَّل الأمر إلى لُعبة القط والفأر الشهيرة ، ولكننى سأفاجئهم مفاجأة مذهلة .

عقد الدكتور (صبرى) حاجبيه ، وغمغم فى قلق :

ــ أظن أننى فهمت أين ستبدأ المعركة ؟

ابتسم (نور) وهو يقول :

ــ تمامًا كما تصوَّرت يا دكتور (صبرى) ، سنبدأ قتالنا معهم فى ساحتهم ، فى وادى الرعب ، بجوار قرية (أولاد عمرو) .

* * *

٤ ــ الأزرق والأبيض ..

كانت أستار الغروب تسدل على الكون فى نعومة ، وضوء الشمس ينحسر عن السماء فى بطء واستحياء ، حينما توقَّفت سيارة الدكتور (صبرى) ، على بعد أمتار قليلة من وادى (أولاد عمرو) ، وهبط هو منها متأمِّلاً الوادى الذى صنع فيه الغروب ظلالاً ، تثير الرجفة فى القلوب ، ثم التفت إلى (نور) الذى غادر السيارة بدوره ، وسأله :

ــ أهذا هو المكان ؟

اكتفى (نور) بإيماءة من رأسه تعنى الإيجاب ، وهو يعد مسدسه الليزرىّ ، ويتأكّد من كفايته ، فهزَّ (صبرى) رأسه ، وأردف بصوت مرتعد :

ــ لقد كنت على حقٍّ من أنه يثير الرُّعب .. يا إلٰهى !! لقد تحطَّمت أعصابى تمامًا اليوم ، منذ فاجأتنى

فى ردهة منزلى ، وتلك القصة التى حدثتنى بها عن الغزاة الزُّرق ، ثم الطرق الجانبية الوعرة التى اجتزناها ، لنتفادى نقاط المراقبة ، التى تبحث عنك على طول الطريق من القاهرة إلى هنا .. وأخيرًا هذا الوادى ، بكل ما يحيط به من أساطير وأهوال .

سرّت ابتسامة شاحبة على شفتى (نور) ، وقال :

ــ انتظر حتى ترى وجوههم ، وستعلم أن كل ما مرَّ بنا ما هو إلا فتات .

أثارت هذه العبارة رعدة شديدة فى جسد (صبرى) ، وهو يغمغم :

ــ ربَّاه !! ألى هذا الحدّ ؟!!

ربَّت (نور) على كتفه ، وقال فى هدوء :

ــ يمكنك التراجع الآن يا صديقى ، ولن يتهمك أحد بالجبن .

ابتسم (صبرى) وقال :

ـــ من قال هذا؟! .. إننى سأتَّهم نفسى بقمة الأنانية، إذا ما انسحبت الآن يا (نور) .

تنهَّد (نور) وهو يقول :

ـــ إذن ، فلنتقدَّم على بركة الله .

* * *

لم يضع (نور) وقتًا طويلًا فى البحث ، فقد توجَّه مباشرة إلى ذلك الكهف الذى كاد يلقى حتفه فيه ، فى لقائه الأول مع هؤلاء الغزاة الزُّرق ، ولم تكد قدماه ، وقدما (صبرى) تستقر على مدخل الكهف ، حتى أضاء (نور) مصباحه الصغير ، وكشف عن جدران الكهف فى سرعة ، ثم لم يلبث أن أشار إلى دائرة معدنية عكست ضوء المصباح ، وقال :

ـــ من الواضح أنهم لم يتوقَّعوا عودتى إلى هنا مطلقًا ، فوسائل الأمن لديهم لم تتغيَّر ، وليس أمامنا سوى اجتياز شبكة من الأضواء تحت الحمراء ، ثم نصبح أمامهم تمامًا .



ولم تكد قدماه ، وقدما (صبرى) تستقر على مدخل الكهف ، حتى أضاء (نور) مصباحه الصغير وكشف عن جدران الكهف ..

غمغم (صبرى) وهو يتسلَّل عَبْر شبكة الأضواء ، مستعينًا بمنظار خاص ، يعكس الأشعة تحت الحمراء بالذات .

ــ أهذا هو كل ما وضعوه من وسائل الأمن ؟

أجابه (نور) ، بعد أن عبرا شبكة الضوء إلى الجانب الآمن :

ــ إنه مجرَّد احتياط بسيط ، فهم لا يتوقَّعون أن يُقْدِم أحد على اقتحام الوادى ، بعد أن أحاطوه بأساطير تثير الرعب ، وحتى إذا عبَر أحدهم الوادى ، فلن ينقِّب فى الكهوف عن وسائل أمن أو غيره ؛ لذا فهذا الأسلوب فعَّال للغاية برغم بساطته .

اجتاز الاثنان ممرَّات الكهف فى صمت ، حتى توقَّفوا أمام الباب المعدنى الأزرق الكبير ، وفتحه (نور) بالضغط على المستطيل الصغير فى جانبه ، وندَّت من حلق (صبرى) شهقة خافتة ، حينما طالعه الممر الطويل ، ذو الضوء الأزرق الشاحب ، ولكن

(نور) بتر هذه الشهقة بإشارة من يده ، وعبر كلاهما الباب المعدنى إلى الداخل ..

لم يكد (صبرى) يستند بظهره إلى حائط الممر المعدنى ، حتى ابتعد عنه فى حركة حادَّة ، وتأمَّله فى مزيج من الدهشة والخوف ، وهو يمدّ يده ليلمسه ، مغمغمًا :

ــ يا إلٰهى !! هذا الجدار !!.. أرأيت ماذا يفعل يا (نور) ؟

أسكته (نور) بإشارة غاضبة من يده ، فعاد (صبرى) يلتصق بالجدار فى اشمئزاز واضح ، وتحرَّك نحو (نور) ، الذى اتجه من فوره إلى الردهة المفتوحة فى نهاية الممر ..

برغم الوصف التفصيلى ، الذى ألقاه (نور) على مسامع الدكتور (صبرى) ، قبل وصولهما إلى هذا المكان البغيض ، وبرغم أنه كان يتوقَّع تمامًا كل ما وقعت عليه عيناه ، إلَّا أن جسده انتفض فى قوَّة ، وكاد يسقط

فاقد الوعى ، حينما وقعت عيناه على وجوه الرجال الزُّرق ، الذين يملئون الردهة الواسعة ..

فقد بدت له ملامحهم مخيفة إلى أقصى حدّ ، برءوسهم الصلعاء ، الخالية من الشعر تمامًا ، وبشرتهم الزَّرقاء اللامعة ، وعيونهم الحمراء بلون الدم ..

كان تركيبهم الخارجى يشبه البشر تمامًا ، إلا أنهم أقل طولًا ، وأبطأ حركةً ، ولكن ملامحهم كانت تذكّر الإنسان بأفلام الرُّعب القديمة ..

ووجد (صبرى) نفسه بلا وعى ، يقارن بين بشرتهم الزرقاء وبشرته البيضاء ، ووجد نفسه يشكر الله (سبحانه وتعالى) من أعماقه على هذا اللون الأبيض ، ولكنه لم يلبث أن تساءل فى دهشة ، عمَّا إذا كان هؤلاء الزُّرق يحبون بشرتهم الزرقاء أيضًا ، وتساءل كذلك هل أثارت بشرتنا ذعرهم واشمئزازهم ، حينما وصلوا إلى كوكب الأرض للمرة الأولى ؟!..

أفاق الدكتور (صبرى) من هذه الأفكار المتلاحقة ، على لمسات أصابع (نور) ، وسمعه يهمس فى قلق :

ـ انظر هذا الرسم التخطيطى ، فوق شاشة الكمبيوتر السابع إلى اليسار يا صديقى ، وأخبرنى ماذا يعنى ؟

وضع (صبرى) فوق عينيه منظارًا صغيرًا مقرّبًا ، وأخذ يتأمّل الرسم الواضح فوق شاشة الكمبيوتر ، ثم لم يلبث أن شعر برعب شديد ، وأزاح المنظار عن عينيه وهو يلتفت إلى (نور) ، هاتفًا فى صوت هامس :

ـ إنه تخطيط لمشروع خطير يا (نور) .. خطير للغاية ..

سأله (نور) فى اهتمام وقلق وهمس :

ـ أى مشروع هذا يا (صبرى) ؟

همس (صبرى) فى توتُّر :

ـ يبدو أن شمس كوكبهم أضعف كثيرًا من شمسنا ، كما توقَّعتَ أنت يا (نور) ، وهذا يقلقهم ويضطرهم إلى العمل ليلًا فقط ؛ لذا فهم قد صمَّموا نوعًا من الأقمار الصناعية ، يشبه المناظير الشمسية تمامًا .

سأله (نور) وقد تضاعف قلقه :

ـ ولِم ؟ ـ

أجابه (صبرى) :

ـ ليصنعوا حائلًا بيننا وبين أشعة الشمس ، ليتلقَّوْا أشعة الشمس الساقطة على الأرض فى مجموعة من العدسات ، تمحوها أو ترسل منها أقل القليل .. إنهم يسعون فى اختصار إلى تحويل شعبنا إلى شعب يرقد فى الظلام ، وتظلّله دائمًا سماء مظلمة .

* * *

للحظات طويلة ، لم يفهم (نور) ما يقصده الدكتور (صبرى) ، ثم لم يلبث أن استوعب الأمر كله دفعة واحدة ، فاتسعت عيناه ذُعرًا وذهولًا ، وهو يقول هامسًا :

ـ يا إلٰهى !! سيقضى هذا على أطفالنا ، ونباتاتنا ، وهذا يعنى بالتبعية مصرع الماشية وباقى أنواع اللحوم .. إنها عملية قتل جماعية ، مجزرة لا تعرف الرحمة .

صاح (صبرى) فى صوت مرتعد ، شديد الخفوت :

ـ لا بدَّ أن نحطِّم قمرهم الصناعى ، بواحد من صواريخنا عابرة الكواكب .

عقد (نور) حاجبيه مفكِّرًا ، وهو يغمغم :

ـ ربَّما كانت عدساته منيعة مثلهم يا صديقى ، وهنا لا توجد سوى وسيلة واحدة .

نظر إليه (صبرى) مستفسرًا ، فتابع (نور) قائلًا فى عزم :

ـ أن نحطِّم هذا المشروع منذ بدايته مهما كان الثمن .

فتح (صبرى) شفتيه ، وهمَّ بنطق عبارة واحدة ، إلَّا أن الكلمات احتبست فى حلقه ، وجسده ارتجف فى

رعب ودهشة ، عندما جاءت من خلفهما عبارة ساخرة مخيفة ، يقول صاحبها :

ــ الثمن ؟!.. يا لك من مغرور ، إنك ستدفع الثمن فورًا ، ولكن التسليم سيتأخَّر كثيرًا أيها الرائد (نور) .

* * *



٥ ــ الموت فى قلب الجبل ..

يبدو أن عقل الإنسان سيظل أبد الدهر ، عاجزًا عن تخيُّل مالم تره عيناه ، مهما بلغ صاحبه من الحصافة ، وسعة الأفق .. فبرغم أن (نور) قد أدْلى بوصف دقيق للغزاة الزُّرق على مسامع الدكتور (صبرى) ، إلَّا أن جسد هذا الأخير ارتجف من قمة رأسه حتى أخمص قدميه ، حينما وقع بصره على الرجال الخمسة ، ذوى البشرة الزرقاء اللامعة ، الذين يحدِّقون فيه بعيون كالدم ، بلا قرنية أو رموش ، بلا شعر على الإطلاق ، وتراجع إلى الخلف فى رعب ، وكأنما اخترقت تلك العيون الدموية جسده ، ومزَّقت أوصاله ، على حين لم يحرِّك (نور) ساكنًا ، وكأنما كان يتوقَّع هذا اللقاء ..

لم يلتفت إلى الوجوه الزُّرق ، والعيون الحمراء بلون الدم ، لقد تعلَّق بصره بذلك الوجه الأبيض الذى

يتقدَّمهم ، بصاحب العبارة التى صكَّت مسامعهم منذ لحظات .. لقد تعلّق بصره بصديقه ، ورفيقه القديم (رمزى) ..



كان يقف أمامه باسمًا شامتًا ، كأنه عدوٌّ قديم لا رفيق ، خاض معه العديد من المغامرات ، وحطَّما معًا أكثر الألغاز العلمية خطورةً وغموضًا ..

كان (نور) يعلم أن (رمزى) لم يعد هو (رمزى) ..

لقد سيطر هؤلاء الغزاة الزُّرق على عقله ، وعقول أصدقائه ورفاقه ..

سيطروا على عقل زوجته وفريقه ، وحوّلوهم من رفاق إلى أعداء ..

كان يعلم أن الذى يقف أمامه الآن هو عدوّ .. وعدوٌّ خطر ..

ولم يتحرَّك أصحاب الوجوه الزُّرق ، ولم يفتح أحدهم فمه الرقيق الخالى من الشفاه ، وإنما كان (رمزى) هو الذى تكلم ..

تكلم بصوت أجش ، لايمت بصلة لصوته القديم ، وقال فى لهجة شامتة ساخرة :

ــ أخطأت حينما تصوَّرت أننا لم نتوقَّع عودتك إلى هنا يا (نور) .. يبدو أنك نسيت أننى خبير فى الطب النفسى ، وأن خبرتى تكفل لى توقُّع كل خطواتك ، مهما بدت مفاجئة للآخرين .

لم يحرِّك (نور) ساكنًا هذه المرة أيضًا ، واتسعت

عينـا (صبرى) دهشة ، وهـو يتأمَّـل فى ملامح (نور) .. فقد خيِّل إليه أنه يلمح شبح ابتسامة ساخرة على شفتيه ، على حين استطرد (رمزى) :

ـــ لقـد تعمَّدنـا عدم تبديـل وسائـل الأمـن ، وأعطينـاك كل شعـور بالأمـان ، بل إننـا يسَّرنـا لك الوصول إلى هنا .. لقد قررنا أن نوفِّر وقت مطاردتك ، مادمنا نعلم أنك ستعود حتمًا إلى هنا .. فهذا هو المركز الوحيد الذى تعرفه .

ثم عقد ساعديه أمام صدره ، وأردف :

ـــ لقد أتيت بقدميك إلى هنا ، وهذه هى نهاية المطاف يا (نور) .

أنهى (رمزى) عبارته بابتسامة شامتة ، وعلى إثرها رفع الرجال الخمسة الزُّرق أيـديهم المعروقـة فى وجـه (نور) و (صبرى) ، وبين أصابعهـم الزرقـاء استقرت تلك المربَّعات الشفافة ، التى تطلق الأشعة البنفسَجيَّة القاتلة .

* * *

التصق الدكتور (صبرى) بالجدار الأزرق المتموِّج فى ذُعر ، وهو يتوقَّع الموت بين لحظة وأخـرى ، ولكـن (نور) لم يستسلم .. انطلقت يده فى سرعة البرق إلى سترته ، وانتزع من جيبها الداخلى شيئًا ما ، صوَّبه إلى أصحاب الوجوه الزُّرق .

لم يكن هذا الشىء هو مسدسه الليزرى ، وإنما كان جهازًا أسطوانيًّا ، يشبه مصباح الجيب ، ضغط زرًّا فى أعلاه ، فأطلق الجهاز أزيزًا قويًّا يصمُّ الآذان ..

مشهد عجيب هذا الذى رأته عينا (صبرى) ، فقد سقطت المربَّعات الشفَّافة من الأيـدى الزرقـاء ، ورفع الرجال الزُّرق أكُفَّهم إلى آذانهم ، وسقطوا أرضًا يتلوَّوْن من شدة الألم ، وظهر ذهول شديد على وجه (رمزى) ، على حين أوقف (نور) جهازه ، وتوقَّف الأزيز المؤلم ..

حدَّق (رمزى) فى وجه (نور) بذهول ، فابتسم هذا الأخير وهو يقول :

ـــ الصوت يا عزيزى (رمزى) .. الصوت المرتفع هو نقطة ضعفهم الوحيدة .. لقد تنبّهت إلى هذه الحقيقة ، حينما تذكّرت كيف سمعوا صوت آلة التصوير الخافت ، وهى تعمل فى المرّة السابقة ، تذكّرت ذلك فجأة ، وفهمت أن آذانهم مرهفة للغاية ، وأنهم لن يتحمّلوا صوتًا قويًا كهذا .

استمر الذهول على وجه (رمزى) ، وانتقل إلى وجه (صبرى) ، على حين تابع (نور) قائلًا :

ـــ إننى تلميذ نجيب يا (رمزى) ، ولقد تعلّمت على يديك أصول الطب النفسى وقواعده ، وعلى العكس مما تظن ، كنت أعلم أنكم تنتظروننى هنا ، وأنكم ستعدُّون لى فخًّا ما ، ولكننى كنت واثقًا من انتصارى بهذا السلاح الجديد .

ظلّ (رمزى) صامتًا لحظات ، على حين بدأ الرجال الزُّرق يستعيدون نشاطهم ، وينهضون فى

بطء .. وقبل أن يوجّه إليهم (نور) سلاحه مرة أخرى ، ابتسم (رمزى) وقال بصوته الأجش :

ـــ إنك لم تفقد ذكاءك وألمعيّتك يا (نور) ، ولكنك نسيت شيئًا واحدًا .

وبسرعة عجيبة أخرج (رمزى) من جيبه مسدسًا ليزريًّا ، وصوّبه إلى (نور) و (صبرى) ، وهو يقول :

ـــ إن سلاحك هذا لن يؤثر فىَّ أنا ، وإن طبيعتك ستمنعك من قتلى على حين لن يمنعنى شىءٌ من تمزيقك إربًا .

* * *

تحرّك (نور) بسرعة ، فابتعد عن طريق حزمة أشعة اللِّيزر ، التى أطلقها (رمزى) نحوه ، ثم مال جانبًا ، وانقضّ على رفيقه القديم كالصاعقة ، وبركلة مُحكمة أطار المسدس اللِّيزرىّ من كفِّه ، ثم هوى على فكِّه بلكمة كالقنبلة ، ولكن (رمزى) تحاشاها فى مهارة

عجيبة ، ثم غاصت قبضته فى معدة (نور) الذى تراجع فى ألم ، ثم تمالك نفسه ، وعاد ينقضُّ على (رمزى) ..

راقب (صبرى) الصراع فى ذُعر ، وأخذ ينقل عينيه فى توتُّر ، بين (نور) والرجال الزرق ، الذين استعادوا نشاطهم تمامًا ، ونهضوا فى بطء ، وعيونهم الحمراء بلون الدم تتابع القتال ، وكأنهم يراقبون تجربة علمية مثيرة ..

كان (رمزى) يقاتل كوحش كاسر ، وقد تضاعفت قوته أضعافًا ، كما يحدث لكل من يقع تحت سيطرة هؤلاء الغزاة .. وكان من الواضح أن (رمزى) لا يسعى بالدرجة الأولى لهزيمة (نور) ، ولكنه يسعى إلى شىء آخر ، ويبدو أنه قد نجح فيما يسعى إليه ، إذ وجَّه لكمة قويَّة ، بدت لأول وهلة وكأنها ستهوى على فكِّ (نور) ، ولكنها بدلًا من ذلك أطاحت بالجهاز الاسطوانى بعيدًا ، ذلك الجهاز الذى يضمن التفوُّق لـ (نور) ..

شعر (صبرى) بخطورة فقد الجهاز الصوتى ، وقفز نحوه محاولًا التقاطه ، فى نفس اللحظة التى أنهى فيها (نور) صراعه مع (رمزى) ، بلكمة ساحقة خلف أذنه ..

وقبل أن يلتفت (نور) إلى حيث سقط الجهاز ، وقبل أن تلتقطه أصابع (صبرى) ، انطلق خيط من الضوء البنفسجى نحو الجهاز ، الذى تألق بشدة ، ثم تحوَّل إلى كومة من الرماد ..

وبقى (نور) و (صبرى) بلا أسلحة أو حماية ، أمام خمسة من الرجال الزُّرق .. وفى أرجاء الممر المعدنى فى قلب الجبل ، انبعثت رائحة مخيفة ... رائحة الموت .

٦ ــ وأطبقت المصيدة ..

لم يدر الدكتور (صبرى) فى هذه اللحظات تفاصيل ماحدث ، ولكنه اعترف فيما بعد أنه كشف أن الفارق بينه وبين رجل مخابرات علمية مثل (نور) هو الفارق بين سرعة السيارة القديمة التى تُدار بالبنزين ، وتلك الصاروخية التى تنطلق بالدَّفع النوَوِّى فى القرن الحادى والعشرين ..

فقد تسمَّر الدكتور (صبرى) فى مكانه حينما واجه الموت ، ولكن (نور) لم يتوقَّف ، بل جذبه من معصمه ، واضطره اضطرارًا إلى العَدو بجواره ، ليبتعدا عن مرمى الرجال الزُّرق ، وينطلقا بأقصى سرعة ، داخل ممَر جانبى طويل ، لم يدر أيهما إلى أين يقودهما ، ولكن الممر الأساسى ، الذى يقود إلى خارج الجبل ، كان مسدودًا بأجساد الغزاة ، والردهة الواسعة تموج بهم ،

وهذا الممر الطويل هو الأمل الوحيد .. كانا يجريان بلا هدف ، وسط عدد من الحجرات المغلقة ، على جانبى الممر ، وخلفهما ارتفعت أصوات خطوات الرجال الزُّرق البطيئة ، الثقيلة ، المخيفة ... وفى توتُّر بالغ ، هتف (صبرى) :

ــ ماذا سنفعل ؟ وإلى أين ننطلق ؟

أجابه (نور) فى لهجة بدت هادئة ، إلى حدٍّ أثار أعصابه :

ــ لست أدرى .. إننا نحاول الهرب ، هذا كل ماهنالك .

بدا الممر كأن لا نهاية له ، وعصف الغضب بـ (صبرى) الذى صاح :

ــ لست تدرى ؟ .. لست تدرى ؟ إنك تتحدَّث كما لو كنت تقتل نفسك فقط ، ولكنك فى الواقع تقتلنى أيضًا ، وليس هذا من حقِّك .

لم ينطق (نور) بكلمة ، ولم يحاول الدفاع عن

نفسه ، بل أن الوقت والموقف لم يمهلاه ما يكفى للدفاع عن نفسه .. فقد انطلقت حولهما خيوط الأشعة البنفسجية القاتلة ، بعد أن وصل الرجال الزُّرق إلى بداية الممرّ ، وأصابت الأشعة الجدران حولهما ، والأرض بين أقدامهما ، فصرخ (صبرى) :

ــ لقد انتهينا .. لقد أطبقت المصيدة علينا ، وما من أمل فى الفكاك منها .

* * *

فى عالمنا هذا لا يملك المرء سوى التفكير والمحاولة ، أما التوفيق أو النصر ، فهو هبة من الله (سبحانه وتعالى) ، وهو يمنحه (سبحانه) لمن يستحقه من عباده ..

فلم يكد (صبرى) ينتهى من عبارته ، حتى لمح (نور) بطرف عينه مدخل ممر فرعى آخر ، يمتد أيضًا إلى مسافة بعيدة ، فجذب (صبرى) من معصمه ، ومال به إلى الممرّ الجانبى وهو يهتف :

ــ دعْنا نبتعد أولًا عن طريق أشعَّتهم القاتلة ، ثم نتناقش فى أمر المصيدة والفكاك منها فيما بعد .

تأمَّل (صبرى) الممر الجديد فى دهشة ، ثم قال وهو يلهث من شدة التعب والانفعال :

ــ يا إلهى !! إننى لم أرَ هذا الممـــر ، إلَّا حينما جذبتنى إليه ، إن ذلك اللون السماوىّ الشاحب يخفى معالم الجدران تمامًا .

انتظر (صبرى) أن يسمع من فم (نور) تعليقًا على ما قال ، ولكنه بدلًا من ذلك فوجئ بـ(نور) يتسمَّر فى مكانه ، وهو يهتف :

ــ يا إلهى !!

أثار هذا التوقُّف المفاجئ دهشة (صبرى) ، فأبطأت قدماه ليتوقَّف بدوره ، وهمَّ بسؤال (نور) عما أثار دهشته إلى هذا الحدّ ، ولكنه قبل أن ينطق بكلمة ، ارتطم جسده بجدار من الصلب ــ أو هكذا خُيِّل له ــ فسقط أرضًا ، وشعر برأسه يدور فى قوة ،

فرفع عينيه إلى حيث اصطدم ، ولم يكد يفعل حتى اتسعت عيناه ذعرًا ، وكاد يطلق صرخة عالية ..

فهناك .. على بعد خطوات منه ، انتصب جسد أزرق فى عباءة زرقاء ، يحدّق فيه بعينين حمراوين بلون الدم ، وبغضب ليس له مثيل .. كان هذا هو جدار الصلب الذى ارتطم به ..

* * *

كم هو مثير للرُّعب مرأى أصحاب الوجوه الزُّرق ، فى قلب الدكتور (صبرى) .. لقد تسمَّر فى مكانه وهو يحدِّق فى الوجه الأزرق ، واليدين المعروقتين ، اللتين انحنيتا نحوه ، ولم يلتفت إلى صرخات (نور) ، الذى صاح :

ـ ابتعد يا (صبرى) ، لا تسمح له بإمساكك .

ولكن (صبرى) لم يستطع حراكًا ، واكتفى بدقَّات قلبه التى ارتفعت ، حتى كاد القلب نفسه يخترق

ضلوعه ، ويثب خارجًا ، وتعلَّقت عيناه المذعورتان بالأصابع الزرقاء ، التى اقتربت من جسده حتى لامست سترته ..

وفجأة .. رأى الدكتور (صبرى) مشهدًا لن ينساه ما بقى له من العمر ، رأى (نور) يثب كالفهد ليسقط بين ذراعى المسخ الأزرق ، ويجذبه معه فى سقطة ذات دوىّ شديد ، بعيدًا عن (صبرى) ..

كانت القصة التى رواها (نور) لـ (صبرى) مسبَّقًا ، تؤكد أن هؤلاء الزُّرق كالفولاذ ، لا تؤثر فيهم قبضات البشر ، مهما بلغت قوتها ، ولا حتى أشعة الليزر القاتلة .. وكان السلاح الوحيد لهزيمتهم ، هو ذلك الجهاز الصوتى الأسطوانى الذى احترق وتلاشى منذ دقائق ، وهجوم (نور) على صاحب الوجه الأزرق هذا ، والتحامه المباشر معه دون سلاح ، يعنى الانتحار ، الانتحار المؤكد .

هذا مادار برأس الدكتور (صبرى) ، فى نفس



قبض المسخ الأزرق على وسط (نور) ورفعه
إلى أعلى كما لو كان يهم بإلقائه على الجدران المعدنية

اللحظة التى وثب فيها (نور) على الوحش الأزرق ، وهذا مازاد من ارتجافه مع اقتراب صوت خطوات الزُّرق الآخرين ، ولكن كل هذا لم يستغرق لحظات ..

فلقد قبض المسخ الأزرق على وسط (نور) ، ورفعه إلى أعلى كما لو كان يهم بإلقائه على الجدران المعدنية ، رفعه كما لو كان يرفع حصاة صغيرة ، وصرخ (صبرى) جزعًا :

ـ يا إلهى !! (نور) .

ولكن (نور) أحاط فمه بكفَّيه ، ثم أطلق صرخة مدوِّية قويَّة ، ارتج لها الممر ، وتوقَّفت لها أصوات الخطوات المخيفة ، وارتجف لها جسد المسخ الأزرق ..

نعم .. ارتجف جسد المسخ الأزرق .. فلم تحتمل أذناه الحسَّاستان هذه الصرخة القوية ، فترك فريسته مرغمًا ورفع كفيَّه المعروقتين إلى أذنيه فى ألم واضح .. وعاد (نور) يطلق صرخة أخرى أشد قوة ، وتلوَّى الأزرق من شدة الألم ، على حين لم يضع (نور) لحظة

واحدة ، فجذب (صبرى) من معصمه مرة أخرى ، واندفع به إلى باب كبير مفتوح فى نهاية الممر الجانبى ، وسرعان ما دلفا عَبْر الباب ، واستدار (نور) يغلقه خلفه فى إحكام ، على حين تطلَّع (صبرى) فى ذهول إلى ذلك الشىء الضخم ، الذى يستقر وسط الردهة الضخمة ، التى يقود إليها الباب ، وهتف بصوت مختنق من شدة الانفعال :

ـــ يا إلهى !! انظر يا (نور) .

التفت (نور) فى حِدَّة ، ينظر إلى حيث أشار (صبرى) ، ثم لم تلبث الدهشة أن كست وجهه بدوره .. فهناك وسط القاعة الضخمة ، استقرت عدسة داكنة ، بنيَّة اللون ، تبلغ مساحتها ضعفى حجم ملعب الدورة الأوليمبية ، وحولها تناثرت أجهزة عديدة متقدِّمة للغاية ، وغمغم (صبرى) وهو يشير إليها فى توتُّر ورعب وانفعال :

ـــ إنها وسيلة منع ضوء الشمس ، إنها الطريق إلى (السَّماء المظلمة) .

* * *

٧ ـــ غروب إلى الأبد ..

تأكَّد (نور) أولًا من إحكام إغلاق الباب المؤدِّى إلى الردهة الواسعة ، ثم هبط مع (صبرى) درجات سُلَّم ليِّن صغير إلى قلب الردهة ، وتأمَّل كلاهما العدسة البنِّية العملاقة فى وجوم وقلق ، إلى أن قال (نور) :

ـــ يا إلهى !! لقد كنت أظن مشروعهم قيد الدراسة ، ولكن يبدو أنهم قد اقتربوا كثيرًا من مرحلة التنفيذ .

فحص (صبرى) الأجهزة المتناثرة فى اهتمام ، ثم قال :

ـــ صحيح أننى لا أفهم شيئًا فى عدد كبير من هذه الأجهزة يا (نور) ، ولكننى أستطيع الجزم أن المرحلة الوحيدة الباقية ، هى إطلاق ذلك القمر الصناعى ، الذى يشبه العدسة .

هتف (نور) وهو يتحسَّس المعدن العجيب ، الذى صنع منه إطار العدسة الخارجى :

ـ بل هو عدسة بالفعل ، عدسة عملاقة ، يمكنها مع بعض دراسات المسار والسرعة ، تغطية نور الشمس عن الأرض ، مدى الحياة .

غمغم (صبرى) فى شرود :

ـ حياة من ؟

التفت إليه (نور) ، وصاح فى حماس :

ـ لا بدَّ أن نحطِّم هذه العدسة يا (صبرى) ، مهما كان الثمن .

لم يكد (نور) يتمّ عبارته ، حتى ارتفعت دقَّات على باب القاعة المعدنى ، دقَّات قوية تؤكد أن أصحاب الوجوه الزُّرق لن يدَّخروا وُسعًا ، من أجل القضاء على الرجلين ، ورفع (صبرى) سبَّابته مشيرًا إلى الباب المعدنى ، قائلًا :

ـ هذا هو الثمن يا (نور) .

* * *

وجَم (نور) بضع ثوان ، وخيَّم الصمت التامّ داخل القاعة ، على حين ارتفع صوت الدقَّات القوية على الباب المعدنى ، الذى انثنى تحت وطأة هذه الضربات القوية .. وفى حركة سريعة واثقة ، انتزع (نور) مسدسه الليزرىّ من حزامه ، وصوَّبه إلى العدسة صائحًا :

ـ لا بأس من محاولة تأخير التجربة على الأقل .

وأعقب صيحته بدفعة من أشعة الليزر ، أصابت سطح العدسة العملاقة ، وتناثرت فى الهواء حولها ، دون أن تؤثر فيها أدنى أثر ..

عاود (نور) الكرَّة مرة ثانية وثالثة ورابعة ، دون أن تتأثَّر العدسة العملاقة مطلقًا ، وفى يأس استدار (نور) إلى الأجهزة التى تملأ القاعة ، وأخذ يطلق أشعة اللِّيزر عليها ، دون أن يتأثر أحدها أدنى أثر .. وأخيرًا هتف (نور) فى قهر ، وهو يطوِّح مسدسه الليزرىّ بعيدًا :



ــ لا فائدة .. كل شىء هنـا مصنـوع من مادة لا تتأثّر بأيّة وسيلة أرضية معروفة .

اخترقت ذراع أحد الزُرق الباب المعدنى ، مع آخر حروف كلمـات (نور) ، وهتــف (صبرى) فى جزع :

ــ يا إلهى !! لقد اخترق الفولاذ .. لقد ضعنا .

تلفت (نور) حوله فى توتّر ، ثم توقّفت عيناه عند باب صغير فى نهاية القاعة ، ونبض قلبه بنبض الأمل ، وهو يقول :

ــ ربما لم يضع كل شىء بعد .

وأشار إلى الباب الصغير ، هاتفًا :

ــ هذا هو الأمل الأخير .

انطلق الاثنان نحو الباب الصغير ، فى نفس اللحظة التى هوَى فيها الباب المعدنى أمـام الممسوخ الزُّرق ، وتطلَّعت الأعين الدمويــة فى غضب إلى الهاربَيْن ، وانطلـقت الأشعـة البنفسجيـة القاتلـة نحوهما تبغـى حصادهما .. وكان (نور) يعبُر الباب الصغير خلف (صبرى) ، عندما أصاب الشعاع البنفسجى الأرض بين قدميه ، وأصاب شعاع ثان الباب قرب أنفه تمامًا ، ولكن (نور) دفع (صبرى) أمامه ، وقفز عَبْر الباب الصغير ..

انطلـق (صبرى) بأقصى سرعـة ، وهـو يتأمّـل الجدران الصخرية الخالية من الأضواء ، ويقول مرتجفًا :

ــ يا إلهى !! إلى أين يقودنا هذا الممر ؟

أضاء (نور) مصباحه الصغير ، وهو يقول :

ــ لو أنهم يتبعون تكنيكًا واحدًا فى كل مرة ، فسيقودنا هذا إلى الحرِّية .

غمغم (صبرى) فى دهشة :

ــ الحرِّية ؟!!

ثم لم يزد حرفًا واحدًا ، وإن استمر فى عَدْوه إلى جوار (نور) ، عَبْر الممر الذى امتدَّ إلى مالا نهاية ..

وفجأة .. التقطت عينا (صبرى) قبسًا صغيرًا من الضوء .. ضوء النجوم .. ورقص قلبه طربًا وهو يتعلَّق بذراع (نور) ، هاتفًا :

ــ انظر يا (نور) .. ها هو ذا المخرج إلى حيث نجوم السماء .. لقد نجونا يا (نور) .

أجابه (نور) فى اقتضاب :

ــ ليس بعد يا صديقى .. ليس بعد .

لم تكد تمضى لحظات ، حتى خرج كلاهما إلى هواء الحرِّية ، وصرخ (صبرى) فى سعادة :

ــ لقد نجونا .. إننى لم أتمتَّع يومًا برؤية النجوم ، كما أتمتع بها هذه الليلة .

تلفَّت (نور) حوله ، وهو يقول :

ــ إننا فى الجانب الآخر من الجبل ، ولابدَّ لنا من الذهاب إلى حيث تركنا سيارتك الصاروخية على الجانب الآخر .

عادا يعدُوان مرة أخرى حول سطح الجبل ، وأخيرًا توقَّف (صبرى) ، وقال وهو يلهث :

ــ ها هى ذى .. ها هى ذى .. سيارتى هناك تنتظرنا ، لا يمكنك أن تتصوَّر كم يفرحنى مرآها هذه المرة .

تلفَّت (نور) حوله فى قلق ، ثم قال :

ــ اسمع يا صديقى ، ستطيع أوامرى حرفيًا ، إننا سنتحرَّك فى خطوات هادئة نحو سيارتك الصاروخية ، ثم هناك بالقرب من تلك الصخرة الكبيرة ، سننطلق فجأة عَدْوًا ونقفز فى السيارة ، ثم نندفع بها بأقصى سرعة بعيدًا عن هنا .

نظر إليه (صبرى) فى دهشة ، وصاح :

ـــ ولكن لماذا ؟.. إن الطريق خالٍ من هنا إلى هناك و ....

قاطعه (نور) فى صرامة :

ـــ ستنفِّذ الأمر دون مناقشة .. هل تفهمنى ؟

ظهر الغضب على وجه (صبرى) لحظة ، ثم غمغم :

ـــ حسنًا يا (نور) ، سأفعل ما تريد .

تحرَّك الاثنان صامتيْن نحو السيارة ، وقبل أن يصلا إلى الصخرة الكبيرة ، همس (نور) :

ـــ تذكَّر يا صديقى .. عند الصخرة .. انطلق بأقصى سرعة .

ابتسم (صبرى) وهو يقول :

ـــ ها هى ذى على بعد خطوات ، وإن كنت أخالفك الظن فى مسألة الحذر المبالغ فيه هذا .. إننى ..

وقبل أن يتمّ عبارته ، شق الهواء شعاع من أشعة

الليزر ، واستقر عند أطراف أصابع قدمه اليمنى ، وقبل أن يصرخ دهشةً وفزعًا ، جذبه (نور) فى مبادرة سريعة ، وألقى به خلف الصخرة الكبيرة ، ثم سقط إلى جواره محتميًا بها ، وصاح فى حنق :

ـــ كنت أعلم هذا ، ماداموا يتوقَّعون قدومنا ، فلا شك أنهم سيعملون على حراسة السيارة ، حتى لا نستخدمها فى طريق العودة .

غمغم (صبرى) ، وقد اكتسى وجهه بشحوب عجيب :

ـــ يا إلهى !! لقد حاصرونا .

ولم يكد يتمّ عبارته حتى ارتفع صوت تألفه أذنا (نور) .. صوت كان ومازال يثير فى نفس (نور) حنانًا دافقًا ، صوت زوجته (سلوى) تقول فى لهجة خشنة حطَّمت نياط قلبه .

ـــ إنه أنا يا (نور) .. أعلم أنك لن تقتلنى مهما

فعلت بك ، ولكننى سأعمل على أن يطبق عليك السادة الزُرق ، أو أقتلك إذا لزم الأمر .

وأعقبت عبارتها بضحكة شيطانية ، لم تكن يومًا ما مما يمكن أن يخرج من حنجرة رقيقة مثل حنجرة (سلوى) .. وعضَّ (نور) شفتيه حزنًا وألمًا .. وقبل أن ينطق كلمة واحدة انطلق شعاع بنفسجى من نقطة قريبة فى سفح الجبل ، وأصاب الصخرة الكبيرة ، فحوَّلها فى غمضة عين إلى كومة من الرماد ، ووجد (نور) و (صبرى) نفسيهما فى العراء ، وسمعا صوت (محمود) يقول شامتًا :

ــ إنه أنا هذه المرة يا (نور) ، لم تعد هناك فائدة من الفرار .. لقد انتهت المطاردة .

* * *

٨ ــ قانون القتال ..

عجيب هو (نور) هذا ، لقد كان قبل أن يبدأ هذا الصراع شابًّا هادئًا لا يميل إلى العنف والدَّمار ، ولكن أنفه لم يكد يشم رائحة الخطر الذى يواجه كوكب الأرض ، ولم يكد قلبه ينبض بالخوف على ذلك المصير الأزرق الذى ينتظر عالمه ، حتى تلاشى ذلك الهدوء تمامًا ، وانبعثت فى عروق (نور) قوة رهيبة ، وإصرار لا نهاية له ..

تحوَّل الشاب الهادئ إلى كتلة من النشاط والحيويَّة والحركة ، وبرزت إلى السطح كل ملكاته القتالية ، التى انضمت إلى عبقريته العقلية لتصنع مزيجًا أقوى من الصلب ، وغير قابل للكسر أو الصدأ .

لقد وجد (نور) نفسه فى العــراء ، بصحبة الدكتور (صبرى) ، وكلاهما معرَّض للموت ، إما

بأشعة الليزر التى تنطلق من المسدس الذى تمسك به (سلوى) ، أو بتلك الأشعة البنفسجية العجيبة ، التى تحيل كل شىء إلى رماد ، والتى يصوبها إليهما (محمود) من المربع الشفّاف الذى يمسك به ..

كان من المؤلم على نفس (نور) أن يضطر يومًا لمواجهة زوجته ، وأعز رفاقه ، على هذا النحو العدوانى ، ولكنه كان قد توقّف عن التفكير فى هذا الأمر ، منذ تأكّد من سيطرة الغزاة العقلية على زوجته ورفاقه ، والدكتور (حجازى) .. أصبح الآنَ يواجه الموقف بكثير من الواقعية والحزم ، لقد أهمل تمامًا كون خصميه رفيقين سابقين ، وبدأ يعاملهما على أنهما مجرَّد خصمين فقط .. وكان عليه أن ينتصر طبقًا لقانون القتال ، ومن أجل كوكب الأرض ..

حسم عقل (نور) الأمر كله فى جزء من الثانية ، فوجد أن أشعة اللّيزر يمكنها أن تخترق جسده ، أو جسد (صبرى) ، ولكنها لن تقتلهما ما لم تصب منهما

مقتلًا .. أما تلك الأشعة البنفسجية ، فستحيلهما إلى رماد لو أنها مسَّتهما فقط ، وهكذا .. لا يحتاج الأمر لكثير من التفكير ، لابدَّ من اتقاء شر (محمود) أولًا ..

وفى حركة سريعة مدروسة ، التقط (نور) حجرًا صغيرًا من الأرض ، وألقاه فى دقَّة وإحكام نحو (محمود) وشهق الدكتور (صبرى) فى انفعال ، حينما رأى الحجر يصيب هدفه بدقَّة بالغة ، ويُطيح بالمربّع الصغير الشفّاف ، الذى يطلق منه (محمود) الأشعة البنفسجية القاتلة ، على بعد أمتار قليلة منهما .

تأوَّه (محمود) ألمًا حينما أصاب الحجر يده ، وتحرَّك بسرعة ، محاولًا التقاط مربع الأشعة الذى أفلت من بين أصابعه ، ولكن (نور) اندفع نحوه كالصاروخ ، وهو يهتف :

ـــ ابتعد يا (صبرى) .. احتمِ بأى مكان .

انطلق (صبرى) يعدُو مبتعدًا بلا هدف ، وسمع (سلوى) تصرخ غضبًا ، ولكنه لم يتوقَّف ، أو يلتفت

خلفه لمعرفة ماحدث ، وحتى دون أن يفعل ، تناثر الحصى والأحجار من حوله ، بعد أن أصابتها دفعات متتالية غاضبة من أشعة اللّيزر .. وفى نفس الوقت كان (نور) ينقضّ على (محمود) ، ويركل مرة ثانية المربع الشفّاف الذى نجح فى التقاطه .. فزمجر (محمود) فى غضب ، وانقضّ على (نور) ، الذى عاجله بثلاث لكمات متتالية قوية بين عينيه ، سقط على إثرها (محمود) فاقد الوعى ..

وبسرعة التقط (نور) المربع الشفّاف ، ودسّه فى حزامه ، ثم التصق بالجدار الصخرى للجبل ، وهو يعلم أن (سلوى) لن يمكنها رؤيته ، أو إصابته فى هذا المكان ، وتأمّل لحظة رفيقه الدكتور (صبرى) ، وهو يتقافز هنا وهناك ، فى محاولة للإفلات من سيل الليزر ، الذى ينهمر حوله من مسدس (سلوى) ..

وفجأة .. انطلق (نور) فى العراء ، نحو السيارة الصاروخية المملوكة للدكتور (صبرى) .. ولم تكد

(سلوى) تراه ، حتى توقّفت عن إطلاق دفعات الأشعة نحو (صبرى) ، وبدأت فى إطلاقها على زوجها ..

أقوياء هم هؤلاء الغزاة الزُّرق ، فلابدّ من قوة خارقة ، وسيطرة لا حدود لها ، حتى يمكنك إقناع زوجة بإطلاق النار على زوج تحبه ، وتخشى عليه من أقل ألم وخطورة .. ولكن عقل (سلوى) لم يكن هو صاحب الأوامر القتالية لجسدها ، وإنما كانت عقول الزُّرق هى التى تعمل .. الزُّرق الذين قرّروا التخلُّص من (نور) ، مهما كان الثمن ..

ولكن (نور) و (صبرى) ، تحرّكا فى سرعة مناسبة وتوافق كامل ، كما لو أنهما يعملان معًا منذ نعومة أظفارهما ، فقد تحرّك كلاهما نحو السيارة الصاروخية فى آن واحد ، كما لو كانا قد تلقّيا أمرًا خفيًّا بذلك ، بل والأعجب أنهما وصلاها فى لحظة واحدة ، وقفزا داخلها دفعة واحدة ، برغم خيوط اللّيزر التى تطلقها

(سلوى) فى غضب وكراهيــة .. وانطلــق المحرّك الصاروخى ، وأطلقت (سلوى) صرخة أسف وقهر ، حينما اندفعت السيارة الصاروخية أمام عينيها ، وتجاوزت وادى الرعب فى طريقها إلى الحرّية ..

* * *

لم تكد السيارة الصاروخية التى يقودها (نور) تعبُر وادى الرعب ، حتى هتف الدكتور (صبرى) ، وهو يتنفس فى عمق وانفعال :

ــ ياإلهى !! لقد نجونا حقًا هذه المرة ، نجونا حقًا يا (نور) .

ولدهشته البالغة ، هدَّأ (نور) من سرعة السيارة ، وانحرف بها جانبًا ، ثم أوقفها إلى جوار قاعدة جبل متوسط الارتفاع ، فى طريق الصعيد ، المعدّ خصيصًا للسيارات الصاروخية ، فصاح الدكتور (صبرى) :

ــ ماذا بك ؟.. لا يمكننا أن نتوقّف هنا ، على بعد خمسين كيلو مترًا أوأقل قليلًا من مركز هؤلاء الوحوش الزُّرق .. ماذا لو أنهم طاردونا و .... ؟

قاطعه (نور) وهو يسأله فى اهتمام ، متجاهلًا ملاحظاته الخائفة :

ــ هل رأيت ذلك المشروع الذى يعدُّونه ؟.. مشروع السَّماء المظلمة إلى الأبد ؟!

أومأ الدكتور (صبرى) برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ إنه أمر خطير للغاية ، إن الإنسان لا يمكنه التخلّى عن ضوء الشمس ، كما أن المعادن التى يستخدمها هؤلاء الغزاة شديدة القوة والصلابة ، إلى حدٍّ قد تعجز معه قوى الأرض عن منع عملية السَّماء المظلمة .. مالم ....

بتر الدكتور (صبرى) عبارته ، وهزَّ رأسه ، وكأنه يجد صعوبة فيما يفكّر فيه ، ولكن (نور) استحثه على مواصلة الحديث ، قائلًا :

ــ مالَمْ ماذا ؟.. ما الوسيلة لمنع هذا يا دكتور (صبرى) ؟

مطَّ الدكتور (صبرى) شفتيه ، وهزَّ رأسه فى حَيْرة وتوتُّر بعض الوقت ، ثم غمغم فى توتُّر :

ــ مالَمْ تفشل عملية إطلاق القمر الصناعى ، الذى يحمل هذه العدسة العملاقة .

عقد (نور) حاجبيه ، وصمت لحظة مفكِّرًا ، ثم كرَّر العبارة فى تفكير وشرود :

ــ ما لَمْ تفشل عملية الإطلاق ؟

ثم تألَّقت عيناه ببريق عجيب ، وهو يقول :

ــ قُد السيارة إلى منزلك يا صديقى ، واعكف على دراسة كل ما يتعلَّق بهؤلاء الغزاة ، وابحث عن المجموعة الشمسية التى أتوا منها على الأقل ، وتذكَّر أن كوكبهم يقترب من الفناء على الأرجح ، ما لم يكن هذا هو المصير الحتمى لمجموعتهم الشمسية كلها ، ابحث كل هذا بمنتهى الدِّقة حتى أعود .

هتف الدكتور (صبرى) ، وكل خلجة من خلجاته تعبِّر عن الدهشة البالغة :

ــ تعود ؟!!.. من أين تعود ؟

ابتسم (نور) ابتسامة شاحبة ، وهو يقول :

ــ لابدَّ من تدمير مشروع السماء المظلمة هذا يا صديقى ، ولابدَّ أن يبقى واحد منَّا ، لديه كل المعلومات عن الغزاة الزُّرق ، وأعتقد أنك تمتلك الفرصة الكبرى للبقاء ، فهم لا يطاردونك ، ولا الشُّرطة تفعل .

صاح (صبرى) فى حزن :

ــ كلَّا يا (نور) .. سنذهب معًا أو ....

قاطعه (نور) فى صرامة :

ــ دع العواطف جانبًا يا (صبرى) ، إننا نسعى من أجل إنقاذ كوكب بأكمله ، وقضيتنا الأولى هى أن نوصِّل خبر الغزو إلى من يهمهم الأمر ، وهذا يقتضى وجود أحدنا على قيد الحياة ، هذا هو قانون القتال يا صديقى .

تألَّقت دمعة حزينة فى عينى الدكتور (صبرى) ، فابتسم (نور) وهو يربِّت على كتفه قائلًا :

— انطلق يا صديقى على بركة الله .

وأعقب قوله بالقفز خارج السيارة ، وحافظ على ابتسامته الهادئة ، حتى احتل (صبرى) مقعد القيادة ، وأدار المحرِّك ، ثم التفت إلى (نور) ، وغمغم فى صوت متحشرج :

— سأنتظرك يا (نور) ، سأسهر طويلا لإعداد الدراسات اللازمة ، و ....

قاطعه (نور) :

— على بركة الله يا صديقى .

وبلا كلمة إضافية ، انطلق (صبرى) بالسيارة الصاروخية مبتعدًا ، وتلاشت الابتسامة من شفتى (نور) ، وهو يغمغم فى أسًى :

— نعم يا صديقى .. هذا هو قانون القتال .

* * *

٩ — اجتماع للقتل ..

فى غرفة صغيرة داخل مركز قيادة الممسوخ الزُّرق ، وحول مائدة مستديرة ، التفَّ ثلاثة أفراد ، لا تعلو وجه أحدهم أيَّة زُرقة ، وأمامهم فوق المائدة استقر جهاز صغير ، فى حجم عقب السيجارة ..

كان هؤلاء الثلاثة هم أصدق أصدقاء (نور) فيما مضى ، كان كل منهم مستعدًّا للتضحية بحياته من أجله يومًا .. أما الآن ، وبعد أن سيطر الغزاة الزُّرق على عقولهم ، فقد تحوَّلت صداقتهم إلى كراهية وبغض ، وكان اجتماعهم هذا أكبر دليل على ذلك الخلل ، الذى أصاب عقولهم .. فقد كان هدف اجتماعهم الوحيد هو القتل .. قتل زميلهم السابق (نور) ..

كانت (سلوى) تقول بشرود ، وهى تشير إلى الجهاز الصغير :

ــ لقد انتهيت من صنع هذا الجهاز الدِّفاعى ، لن يتمكَّن الرائد (نور) من استغلال الأصوات المرتفعة مرة أخرى .

قال (محمود) :

ــ سيسعد هذا سادتنا الزُّرق .

تابعت (سلوى) وكأنها لم تسمعه :

ــ سيضعون هذه الأجهزة الصغيرة فى آذانهم ، وستعمل على إضعاف الأصوات القوية إلى العشر تقريبًا ، كما أنها ستمنع تمامًا الموجات فوق الصوتية .

عاد (محمود) يكرِّر :

ــ هذا من أجل السَّادة .

ثم التفت إلى (رمزى) ، وسأله :

ــ هل توصَّلت إلى مكان (نور) ؟

أجابه (رمزى) بإيماءة من رأسه تعنى الإيجاب ، ثم ابتسم فى فخر وهو يقول :

ــ لقد استخدمت أسلوب (نور) نفسه للعثور

عليه ، فقد سمعته (سلوى) ينادى رفيقه باسم (صبرى) ، وعلى الفور بحثت كل ما يتعلَّق بالرائد (نور) منذ حداثته ، ووجدت له ثلاثة أصدقاء ، يحملون هذا الاسم ، أحدهم يعمل فى سلك الشُّرطة مثله ، والثانى ملَّاح من ملاحى الفضاء ، أما الثالث فهو عالم فلكى ، وهذا هو مايحتاج إليه (نور) .

ابتسم الثلاثة فى فخر ، وغمغم (محمود) و (سلوى) :

ــ هذا عظيم ..

عاد (رمزى) يتابع حديثه ، قائلًا :

ــ وعن طريق رقم السيارة الصاروخية التى هربا فيها ، تمكَّنت من معرفة عنوان منزل الدكتور (صبرى) ، ولست أشك فى أن (نور) سيكون هناك .

قال (محمود) :

ــ هل نبلغ الشُّرطة ، ونترك لها مهمة التخلُّص منه؟

قالت (سلوى) :

ــ الإجراءات طويلة ومعقَّدة ، كما أنه قد يثرثر كثيرًا ، ويكشف أمورًا لا ينبغى رفع الغطاء عنها .

عاد (محمود) يقول :

ــ هل يتخلَّص منه أحد السَّادة الزُّرق ؟

قال (رمزى) فى صرامة :

ــ بل ستفعل أنت يا (محمود) .

لم يبد على وجه (محمود) أى انفعال جديد ، كما لو كان يتلقَّى أمرًا روتينيًّا ، وتناول المربع الشفَّاف بهدوء من يد (رمزى) ، الذى تابع قائلًا :

ــ أنت المسئول عن مصرع الرائد (نور) قبل مطلع الشمس يا (محمود) .. من أجل سادتنا الزُّرق .

★ ★ ★

اقترب (نور) فى حذر من المدخل الخلفى لمركز الغزاة ، وتأمَّل الكهف الصغير فى حذر واهتمام ، ثم

أسرع يضع منظاره الأحمر على عينيه ، ويتأمَّل جدران الكهف بعين فاحصة خبيرة ، ثم لم يلبث أن غمغم فى تساؤل :

ــ عجبًا .. إنه يبدو كما لو كان خاليًا من وسائل الأمن تمامًا .

عاد يفحص المكان فى مزيد من الاهتمام والحذر ، حتى أزهقه الأمر ، فهزَّ كتفيه وقال وهو يخطو داخله :

ــ فليكن ما يكون ، لن أدع الحَيْرة تعُوقنى عمَّا أريد .

وقبل أن يضع قدمه أرضًا ، التقطت عينه ذلك الشىء .. كانت الأحجار الصغيرة المتناثرة على مسافة متر تقريبًا ، أكثر بريقًا من غيرها .. كانت تعكس المزيد من ضوء النجوم ..

وتنهَّد (نور) فى ارتياح ، ثم أعاد قدمه إلى مكانها الأول ، وانحنى يفحص هذا الحصىّ الزائف ، ثم لم يلبث أن ابتسم وهو يحدِّث نفسه ، قائلًا :

ـــ يالها من وسيلة شيطانية !! إن تلك المستقبلات الصغيرة تبدو كالحصىّ تمامًا ، لا يمكن تفريقها عن الحقيقة ببساطة ، وهى لن تلفت انتباه أحد .. ولكنه ما إن يزداد الضغط الواقع على أى منها بمقدار محسوب ، حتى ترسل إنذارها إلى داخل المركز ، وكانت ستعمل بالتأكيد حينما أطؤها بقدمىّ .

مدَّ بصره إلى الداخل ، مستعينًا بمصباحه الصغير ، فرأى تلك الحصاة الزائفة تمتد مترًا واحدًا ، فعبره بقفزة واحدة ، وانتظر لحظة ليطمئن إلى عدم وجود أجهزة أمن أو كشف جديدة ، ثم تحرَّك فى خفة وسرعة نحو القاعة الضخمة فى نهاية الكهف ، والتى تحوى تلك العدسة العملاقة ، قلب مشروع السماء المظلمة .

* * *

أخرج الدكتور (صبرى) مراجعه الكونية ، وجلس يتصفَّحها فى اهتمام بالغ ، ثم لم يلبث أن نهض إلى جهاز الكمبيوتر الصغير فى طرف حجرة مكتبه ، وبدأ

يداعب بعض أزراره ، ويتابع الكلمات التى تتراص على شاشته ، وهو يقول لنفسه :

ـــ نحن نحتاج للبحث عن كوكب يبلغ حجمه ثلاثة أرباع حجم الأرض تقريبًا ، يسبح فى مجموعة شمسية قاربت الفناء ، ويحتل منها الموقع الأول أو الثانى على الأكثر بعيدًا عن الشمس ، وشمسه نفسها خافتة فى طريقها إلى أن تخبو تمامًا ، له غلاف جوّى يشبه غلافنا الأرضّى ، مع استثناء زيادة كمية ثانى أكسيد الكربون هناك ، وتبلغ كثافة الهواء حدًّا يقل معه انتقال الموجات الصوتية .

كان يدوِّن كل هذه المعلومات على شاشة الكمبيوتر وهو ينطق بها ، ولم يكد ينتهى حتى ضغط زرًّا أحمر اللون فى طرف الكمبيوتر ، وهو يقول :

ـــ والآن ماذا لدينا ؟

تابع ببصرُه تلك الأرقام والأسماء التى تراصت على شاشة الكمبيوتر ، ثم عقد حاجبيه ، وقال :

ـــ لدينا ألفان وسبعة عشر كوكبًا ، تحمل هذه

الصفات ، فى أرجاء الكون المختلفة .. ياله من عدد كبير !! لابدَّ لنا من اختصاره كثيرًا .

عاد يفكِّر فى اهتمام ، محاولًا استعادة كل ما مرَّ به من تفاصيل ، بحثًا عن صفة جديدة تضاف إلى صفات الكوكب المطلوب ، إلى أن هتف فجأة :

ـ تذكَّرت .. هذا الكوكب حارٌّ ولا شك ، برغم خفوت شمسه ، ربما بسبب براكين داخلية ، أو ما يشبه ذلك ، وإلَّا فما اختار هؤلاء الغزاة صحراء الصعيد لبناء وكرهم .

أسرع يضيف هذه المعلومات الجديدة إلى شاشة الكمبيوتر ، ثم ضغط الزِّر الأحمر ، ووقف يراقب تتابع الأرقام والأسماء على شاشته فى لهفة ، وهتف فى سعادة :

ـ حسنًا .. هذا عظيم ، لقد اختصرنا العدد إلى تسعمائة وستة وثلاثين كوكبًا فقط .. لقد اقتربنا كثيرًا .

عاد يفكِّر ويتذكَّر فى اهتمام ، ويدور فى أنحاء الحجرة

جيئة وذهابًا ، ثم تهلَّلت أساريره ، وأسرع نحو جهاز الكمبيوتر ، قائلًا :

ـ يا لى من غبىّ !! ذلك الضوء الأزرق الذى يوهموننا به ، يؤكد أن ضوء شمسهم حينما يَعْبُر غلافهم الجوىّ يبعث ضوءًا أزرق اللون ، هذا يختصر الأمر كثيرًا .

انتقلت هذه المعلومة من رأسه إلى شاشة الكمبيوتر ، عَبْر أزراره العديدة ، وجاء تتابع الأرقام والأسماء سريعًا هذه المرة ، وصاح (صبرى) فى سعادة رجل وجد نفسه قاب قوسين أو أدنى من حل لغز عميق :

ـ ثلاثة عشر كوكبًا فقط .. يا له من انتصار !!

ثم أسرعت يده إلى أزار الكمبيوتر ، وهو يقول فى حماس وانفعال :

ـ فلنقارن هذه الأسماء الثلاثة عشر ، بالمسافات التى يبعدها كل كوكب منها عن الأرض ، ولنستبعد كل ما يبعد أكثر من ألفى سنة ضوئية .

أجاب الكمبيوتر بسرعة على السؤال ، وتراص اسمان فقط على شاشته ، وشعر الدكتور (صبرى) بقلبه ينبض فى عنف ، وهو يقول منفعلًا :

ـــ واحد منهما هو الكوكب المطلوب ، واحد منهما .. لقد توصّلت إليه .. يا إلهى !! وفجأة .. تناهى إلى مسامعه صوت خافت يأتى من خلفه ، فاستدار بحركة حادَّة إلى مصدر الصوت .. ولم يكد بصره يقع على هذا المصدر ، حتى بدت منه حركة أشد حدةً ، جعلته يرتطم بجهاز الكمبيوتر ، ويسقطه أرضًا ، ويحطِّم شاشته ، ورفع كفّه أمام وجهه وهو يصرخ فى رعب :

ـــ لا .. لا .. ليس الآن ..

وانطلقت الأشعة البنفسجية القاتلة .

* * *

١٠ ـــ فلتبق شمسنا مضيئة ..

وصل (نور) بخطواته الحذرة إلى مشارف القاعة الواسعة ، وتفحَّصها فى حذر وصمت ، ورآها خالية ، إلّا من العدسة العملاقة ، والأجهزة العديدة التى تملأ القاعة ، وبعد لحظات من المراقبة ، بدأ (نور) يتسلَّل إلى القاعة على أطراف أصابعه ..

تأمَّل المكان مرة ثانية ، ثم وقف فى مواجهة العدسة العملاقة ، وآلات الدفع المثبَّتة حولها ، وغمغم :

ـــ لن تنطلق هذه الجريمة وأنا حىّ ، لن يطفئ أحد شمسنا أبدًا ، ستبقى مضيئة ، تبعث فى أجسادنا الدفء والنشاط ، حتى يأذن الخالق (عزَّ وجلَّ) .

عاد يلتفت إلى الآلات العديدة ، وتأمَّلها واحدة بعد الأخرى ، ثم تقدَّم من أولها ، وعبث بأزراره قليلًا ، وبدأ يدير أجزاءها ويحل واجهتها فى سرعة وحنكة ، ولم

يكد يكشف أسلاكها حتى أخذ ينزع كلًّا منها ، ويثبّته فى مكان مخالف لطبيعته ، ثم انتزع دوائر السليكون الصغيرة ، ودسّها فى جيب سترته ، وهو يقول :

— سأستعيدها حتى أجد وسيلة لتحطيمها أيها الغزاة .

انتهى (نور) من هذه الآلة ، فانتقل إلى الثانية ، واستمر يعمل بلا كلل ، حتى امتلأت جيوب سترته بدوائر السليكون المطبوعة ، التى لا يزيد حجم الواحدة منها على حجم قرش صغير ، وتوقّف يدير البصر حوله ، وهو يلهث من المجهود العنيف الذى بذله .. وأخيرًا قال فى ضيق :

— كل هذا يمكن تعويضه فى أيّام قليلة ، بل لن يزيد ذلك على يوم وبعض يوم ، يا إلهى !!

كان يطمح إلى تحطيم مشروع السماء المظلمة من أساسه ، لا إلى مجرّد تعطيله ليوم أو يومين ، ولكنه لم يكن يستطيع أن يفعل أفضل مما فعل ، فاستدار نحو

الباب فى ضيق .. وفجأة .. تسمّر فى مكانه ، وبرقت عيناه ببريق عجيب ، وهتف :

— يا إلهى !! إنّ تحطيمها ممكن للغاية ، لقد كانت وسيلة تحطيمها فى يدى طول الوقت ، ولكننى لم أنتبه إليها .. لقد توصّلت إلى وسيلة منع مشروع (السماء المظلمة) .

* * *

فى نفس هذا الوقت ، وفى القاعة الأخرى ، حيث تراصّت على الحائط شاشات رصد لا حصر لها ، وقف عدد من الغزاة الزُّرق ، يراقبون ما يفعله (نور) فى اهتمام بالغ ، كما يفعل العلماء مع حيوانات التجارب .. كانوا قد شاهدوه يدخل إلى القاعة الكبيرة ، التى تحوى العدسة العملاقة ، ولكنهم لم يتدخّلوا لمنعه فى حينه ، بل ظلوا يراقبونه لكشف مدى ما يتمتع به من ذكاء ، طالما كان ما يفعله ليس ضارًّا إلى الحدّ الذى يمنعهم من إتمام مشروعهم ..

رأوه ينزع دوائر السليكون المطبوعة ، ويبدل وضع الأسلاك ، ولكن هذا لم يكن ليعوق عملهم ، حيث كانوا يعلمون أن إعادة كل شيء إلى موضعه لن يستغرق أكثر من بضع ساعات ، ولكن كل ما يهمهم هو معرفة درجة ذكاء (نور) .. فقد حيَّرهم كثيرًا ، فشلَّهم عن السيطرة على عقله ، وكان الحفاظ عليه حيًّا فى هذه اللحظة أكثر أهمية لهم من قتله ، خاصة بعد أن كشفوا روح الإصرار والعناد العظيمة التى يتحلّى بها ، بعد أن عاد بقدميه إلى وكرهم للمرة الثالثة من أجل تحطيم مشروعهم .

ازداد اهتمامهم بمراقبته ، وتضاعفت حَيْرتهم ، حينما أخذ (نور) يعيد الأسلاك إلى أوضاعها الصحيحة ، ويعيد دوائر السليكون إلى مواضعها الأصلية ، واستغرق منه هذا وقتًا طويلًا ، وجهدًا شاقًّا ، جعلهم يزدادون اهتمامًا بمعرفة ما يسعى إليه ..

وأخيرًا .. وقف (نور) يتأمَّل العدسة العملاقة ،

وعلى شفتيه ارتسمت ابتسامة أثارت المزيد من حَيْرتهم ، إذ كانت تموج بالثقة ..

وأخيرًا .. انتحى (نور) ركنًا عجزوا فيه عن مراقبته بوضوح ، ولكنهم لاحظوا أنه يفعل شيئًا ما بالإطار الخارجى للعدسة العملاقة ، فالتقت نظراتهم ، واتفقت على شيء واحد .. إن فترة دراسة الخصم قد انتهت ، ولم يعد هناك ما يمنع قتله ، وبكلمات عجيبة ، هى مزيج من الهمهمة والدمدمة ، أصدروا الأمر بذلك .

* * *

انتهى (نور) من عمله ، ومسح العرق الغزير المتصبِّب على جبينه ، وتأمَّل نتاج عمله فى سعادة ، ثم غمغم :

ــ أطلقوا الآن مشروعكم أيها الأوغاد ، وستظل شمسنا مشرقة .

لم يكد يتمّ عبارته حتى فُتِح باب القاعة فى حِدَّة ،

وظهر على عتبته (رمزى) و (سلوى) ، وتطلَّع إليهما (نور) فى مزيج عجيب من اللهفة والحزن والقلق ، وظلَّ صامتًا هادئًا ، على حين ابتسمت (سلوى) فى شماتة ، وقالت وهى تصوِّب إليه مسدسها :

ـــ إنها نهاية المطاف يا (نور) .

شعر (نور) بخنجر من الحزن يمزِّق نياط قلبه ، وهو يتأمَّل فى وجه زوجته فى أسف ، وجاء صوته مفعمًا بالانفعالات ، وهو يقول :

ـــ أفيقى يا (سلوى) .. إنك تحطِّمين بنى جنسك .

شردت عيناها ، وبدت وكأنها تقاوم شيئًا ما فى أعماقها ، وهى تقول فى لهجة متردِّدة :

ـــ الولاء للسَّادة الزُّرق .

بعث هذا التردُّد أملًا جديدًا فى أعماق (نور) ، فهتف :

ـــ كلَّا يا عزيزتى .. كلَّا .. الولاء للأرض فقط .. قاومى سيطرة هؤلاء الغزاة الزُّرق .

صاح (رمزى) ، وكأنه يحطِّم محاولة (نور) :

ـــ كفى أيها الرائد ، لقد فشلت ، وهذا يكفى .

نقل (نور) بصره إليه فى أسف ، وسمعه يتابع قائلًا :

ـــ ستشاهد علامات فشلك بعينيك قبل أن تلقى مصرعك يا (نور) .. سنبدأ فى الحال إطلاق العدسة العملاقة .. سيبدأ فى هذه اللحظة مشروع (السَّماء المظلمة)

* * *

وقف (نور) صامتًا ، عاقدًا ساعديه أمام صدره ، يراقب الرجال الزُّرق الذين انتشروا فى القاعة ، حول أجهزة الإطلاق ، يفحصونها فى اهتمام وبطء ، على حين التصق مسدسا (سلوى) ، و (رمزى) بجانبه ، وقال (رمزى) وهو يراقب ملامح (نور) :

ــ أشكرك كثيرًا أيها الرائد ، فلولا إعـادتك كل شىء إلى مكانه ، ما أطلقنا المشروع هذه الليلة ، وكنا سنضطر لتأجيله إلى الغد .

غمغم (نور) فى سخرية مريرة :

ــ كنتم ؟!.. هل سيطروا على عقولكـم إلى هذا الحدّ ؟

قالت (سلوى) فى صرامة :

ــ نحن نطيع سادتنا الزُّرق .

تطّلع إليها (نور) فى أسًى وألم .. كان يتمنّى أن يمسح شعرها بيده ، أو يربّت على وجنتيها فى حنان .. كان يؤلمه أن زوجته تحوّلت تحت سيطرة هؤلاء الزُّرق إلى عدوّ يتمنّى له الموت ، ويسعى إليه فى إصرار .. كان هذا يزيد من حنقه وحقده ، وكراهيته لهؤلاء الغزاة ، ورغبته العارمة فى تحطيمهم وهزيمتهم ..

انقطعت أفكار (نور) حينما ضغط أحد الغـزاة الزُّرق على زرٍّ صغير ، فسرى فى القاعة صوت خافت ،

ورفع (نور) عينيه إلى سقف القاعة فى دهشة ، فقد كان السقف ينشق إلى نصفين ، وتبدو من فوقه السماء بنجومها اللامعة ، ووجد (نور) نفسه يهتف :

ــ يا إلهى !! لقد شقوا الجبل ـ

ابتسمت (سلوى) فى سخرية ، وقالت :

ــ عباقرة هم سادتنا الزُّرق .

وقال (رمزى) :

ــ ستشاهد الآن بعينيك عملية الإطلاق .

ابتسم (نور) ابتسامة ساخرة ، وقال :

ــ هل سننتقل إلى حجرة أخرى ؟

ضحك (رمزى) فى تهكُّم ، وقال :

ــ إنهم لا يستخدمـون الوقـود نفسه الـذى نستخدمه ، فوقودهم لا يبعث نارًا أو دخانًا ، إنه وقود بارد .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يغمغم فى فضول :

ــ وقود بارد ؟!

وبدلًا من أن يفسِّر له (رمزى) الأمر ، أشار بيده إلى العدسة العملاقة ، وقال :

ــ استعد أيها الرائد ، سيبدأ الإطلاق على الفور .

بدا الترقُّب والاهتمام علَى وجه (نور) ، وهو يراقب العدسة العملاقة بإطارها المعدنى الأزرق ، وهى ترتفع عن الأرض رويدًا رويدًا ، فى بطء وهدوء ، نحو الفتحة الضخمة فى سقف القاعة .

كانت عملية غزو الأرض قد بدأت ، واستعد الجميع لبداية ظلام لا ينتهى على كوكب الأرض تحت (السماء المظلمة) .

* * *

١١ ــ منهم وإليهم ..

ارتفعت العدسة العملاقة فى هدوء إلى السقف المفتوح ، ولم تكد ترتفع عنه بضعة سنتيمترات ، حتى تأرجحت فجأة فى قوة ، ثم تألَّق إطارها المعدنى فى شدة ، ثم تلاشى فجأة أمام عيون الجميع ، وتحوَّل إلى رماد تناثر فى الهواء ، وسقطت العدسة العملاقة من أعلى ، وارتطمت بالأرض وسط القاعة الواسعة ، وتحطَّمت فى دوىّ هائل ، وتناثرت أجزاؤها فى كل مكان ..

تحرَّك (نور) فى اللحظة نفسها ، وكأنما كان ينتظر هذا الحدث المفاجئ ، فدار على عقبيه ، ووجَّه إلى فكِّ (رمزى) لكمة قوية ألقته بعيدًا ، وأفقدته الوعى ، ثم استدار فى سرعة مذهلة ، وانتزع المسدس الليزرىّ من يد (سلوى) ، وجذبها من معصمها فى قوة ، وانطلق



وانتزع المسدس الليزرىّ من يد (سلوى) ، وجذبها من معصمها فى قوة ، وانطلق يعدُو وهو يجرُّها خلفه نحو باب القاعة ..

يعدُو وهو يجرُّها خلفه نحو باب القاعة ، الذى يقود إلى الخارج ، قبل أن يفيق الجميع من المفاجأة .

قاومته (سلوى) فى قوَّة ، وأخذت تركله وتلطمه ، وهو يتحمَّل ضرباتها وركلاتها ، محاولًا إنقاذها مما تتردَّى فيه .. ولمَّا لم يجد مناصًا ، استدار إليها ولكمها لكمة قوية أفقدتها الوعى ، ثم حملها وانطلق يعدُو بها إلى الخارج ..

كان حمله يعوقه ، ولكن إصراره ، ورغبته الشديدة فى إنقاذ زوجته ، عاوناه على مواصلة الفرار ، حتى وجد نفسه خارج الكهف ، ورأى النجوم تتألَّق فى السماء .

وفجأة .. استعادت (سلوى) وعيها ، ومعه تحوَّلت إلى كتلة من العنف والشراسة ، فتعلَّقت برقبته ، وأخذت تصرخ فى جنون وتحاول فقء عينيه ، وتمزيق جلد وجهه بأظفارها .

وعلى الرغم منه أفلتت (سلوى) ، ورآها تجرى

بكل ما تملك من قوة ، عائدة إلى داخل الكهف ، فصاح فى لوعة وأسًى :

ــ (سلوى) ..

وهمَّ باللّحاق بها ، ولكنه توقَّف ، وانتصر عقله وواجبه مرة أخرى على عواطفه ، إذ وجد أن فرصة إنقاذ زوجته من هذه السيطرة العقلية ترتفع ، إذا ما حرص على البقاء حيًّا ، أما إذا تبعها إلى داخل الكهف ، فسيعنى هذا مصرعه ، وضياع كل أمل فى إنقاذ زوجته ورفاقه ، وكوكب الأرض بأكمله ..

حسم (نور) أمره بسرعة ، فأدار ظهره إلى مدخل الكهف ، وانطلق يعدُو محاولًا الابتعاد عن الوادى الملعون ، وعن هذا الموت الأزرق ..

* * *

كانت عقارب الساعة تشير إلى الثالثة والنصف صباحًا ، حينما انطلق المهندس (مجدى) بسيارته الصاروخية ، فى طريقه من (قنا) إلى (القاهرة) ،

وهو يطلق من بين شفتيه صفيرًا منغَّمًا ، وتعلَّق بصره بالطريق الذى تطويه سيارته بسرعة خرافية ، إلى أن لمح ذلك الشاب الذى يلوِّح بيديه على قارعة الطريق ..

توقَّف المهندس (مجدى) إلى جوار الشاب ، وسأله محاولًا تبيُّن ملامحه فى ضوء الطريق الخافت

ــ ما الذى أتى بك إلى هذا الطريق ؟.. إنه غير مخصص للمشاة .

أجابه الشاب الذى لم يكن سوى (نور) :

ــ لقد تحطَّمت سيارتى فى حادث مؤسف ، هل يمكنك أن تحملنى إلى القاهرة ؟

أشار إليه المهندس (مجدى) ، قائلًا فى شهامة :

ــ بكل سرور يا سيِّدى ، هلُمَّ بنا .

دار (نور) حول مقدمة السيارة ، واندسَّ فى المقعد المجاور للمهندس (مجدى) ، وهو يقول :

ــ شكرًا لك .. إنك تعاوننى كثيرًا ..

لم يكد (نور) يستقر داخل السيارة ، حتى وقع

الضوء على وجهه ؛ واتسعت عينا المهندس (مجدى) ذعرًا ، وهو يقول :

— يا إلهى !! إنه أنت .. لقد رأيت وجهك على شاشات الهولوفيزيون .. إنك ....

وقبل أن يتم عبارته ، ارتفعت فوّهة مسدس (نور) الليزرىّ فى وجهه ، وسمعه المهندس يقول فى أسف :

— ربما تفهم الأمر خطأ يا سيِّدى ، ولكننى مضطر للذهاب إلى القاهرة ، ولست أملك وسيلة مواصلات مناسبة .

أدار المهندس (مجدى) محرّكات سيارته الصاروخية بأصابع مرتجفة ، وهو يقول :

— إنك لن تؤذينى .. أليس كذلك ؟

ابتسم (نور) فى حزن وأسى ، وقال :

— لن تصدِّقنى بالتأكيد يا سيِّدى ، ولكن الأذى هو آخر ما أفكر فيه ، وإننى أضع حياتى على كفِّى فى سبيل إنقاذكم جميعًا .. ولقد نجحت اليوم فى

أول مراحل هذا الإنقاذ .. ولن تجبرنى قوة فى الأرض على التراجع ..

* * *

أشارت عقارب الساعة إلى الرابعة وخمس وأربعين دقيقة صباحًا ، حينما أخذ (نور) يصعد فى درجات سُلَّم منزل الدكتور (صبرى) فى إرهاق ، وأخذ عقله يستعيد كل ما حدث فى تلك الليلة ، التى بدت طويلة كأن لا نهاية لها ..

تذكَّر كيف توصَّل إلى أسلوب تحطيم مشروع (السماء المظلمة) ، عندما عثر فى جيب سترته على الربع الشفَّاف ، الذى يطلق الأشعة البنفسجية القاتلة ، والذى التقطه بعد صراعه مع (محمود) فى وادى الرعب .. لقد فهم لحظتها أن السلاح الوحيد القادر على تحطيم ما يصنعه الغزاة ، هو السلاح الذى صنعوه بأنفسهم ، ولكنه كان يعلم أن هذا المربع الصغير لن يكفى لتدمير العدسة العملاقة بأكملها ، إلا إذا ....

وعند هذه النقطة ، أعاد (نور) كل الأسلاك إلى مواضعها الأولى ، وثبَّت دوائر السليكون فى أماكنها السليمة ، وهو يحرص على أن تنطلق العدسة العملاقة على النحو الصحيح ..

وفى الوقت نفسه أوصل المربع الشفَّاف بأجهزة الدفع ، فى إطار العدسة العملاقة ، حتى تقوى الأشعة إلى الحدِّ الذى يدمِّر الإطار تمامًا ..

بعد هذا يأتى دور الجاذبية الأرضية ، التى تفُوق مثيلتها بالنسبة لكوكب الغزاة ، والتى ستجذب العدسة فى قوة بعد أن يتلاشى الإطار ، وهو يعلم بحكم دراسته العلمية ، أن ارتطام العدسة بالأرض سيحطمها تمامًا مهما بلغت قوتها ..

تنهَّد فى عمق وهو يستعيد تلك الذكريات ، وشعر ببعض الراحة فى أعماقه ، لانتصاره فى هذه الجولة ، وإن شمل الحزن الجانب الأكبر من نفسه ، لأنه لم ينجح بعد فى إحباط عملية غزو الأرض بأكملها ..

دسَّ (نور) بطاقة مغناطيسية صغيرة ، فى تجويف مستطيل رفيع ، بجوار باب منزل (صبرى) ، ففتح الباب فى الحال ، ودلف إلى الداخل وهو يشعر برغبة شديدة فى النوم ، بعد كل هذا المجهود الذى بذله ..

ولم يكد يضىء ردهة المنزل حتى توقَّف مبهوتًا .. كان جهاز الكمبيوتر الذى يخص (صبرى) محطَّمًا فوق أرض الردهة ، ولم يكن هناك أثر لـ (صبرى) ..

صاح (نور) ينادى صديقه فى قلق ، وتحرَّك نحو حجرة نومه ، فارتطمت قدمه بكومة من الرَّماد ، وبعثرتها فى أرجاء الصالة ، فخفض عينيه إليها يتأمَّلها فى دهشة وقلق ، ولكنه سمع صوت أقدام تتحرَّك نحوه ، فرفع عينيه إلى مصدر الصوت ، وهو يسرع بيده إلى مسدسه اللِّيزرى ..

بهت (نور) لحظة ، حينما وقع بصره على رفيقه القديم (محمود) ، وهو يقف هادئًا ، جامد النظرات ، يصوِّب إليه مربعًا شفافًا قاتلًا ، ويقول فى سخرية ، وهو

يشير إلى كومة الرماد التى ارتطمت بها قدم (نور) :

ـــ هل تبحث عن صديقك الفلكى ؟.. حسنًا أيها الرائد .. هذا هو كل ما تبقَّى منه .

* * *



١٢ ـــ ختام الجزء الثانى ..

تدفَّق غضب رهيب فى عروق (نور) ، وامتزج بالحزن الهائل فى أعماقه ، وغلى المزيج بنيران الحقد ، ثم تفجَّر كطاقة هائلة ، اندفعت فى عضلاته ، وانطلقت من عقالها كمارد مسعور ..

وقفز (نور) من مكانه ، وتفادى الأشعة البنفسجية القاتلة ، التى انطلقت من المربع الشفَّاف الذى يمسك به (محمود) ، ثم انقضَّ عليه ، ولكمه فى قوة هائلة ، واندفع (محمود) بجسده الضئيل إلى الحائط ، وارتطم به فى قوة ، ثم سقط فاقد الوعى ، وهمَّ (نور) بتوجيه لكمة أخرى إليه فى غيبوبته ، ثم توقَّف فجأة ، وتلاشى كل ما فى أعماقه ، عدا الحزن ..

تجلَّت له فجأة الهوَّة السحيقة ، التى تردَّى فيها خلال صراعه من أجل الأرض ، رأى كيف أن

(محمود) ، زميله القديم الوديع قد تحوَّل إلى قاتل ، وكيف أنه كاد يضرب صديقه القديم ، وهو فاقد الوعى من أجل لحظة غضب ..

تجمَّع كل ذلك فى عينى (نور) .. شحنة ضخمة من الحزن تفجَّرت فى أعماقه .. ولأول مرة فى حياته جلس (نور) يبكى ..

بكى من أعماقه على ما وصل إليه حال فريقه ..

أفرغ حزنه العميق على ما أصاب صديقه القديم (صبرى) على يد صديق آخر ..

بكى على ما فعله هؤلاء الغزاة الزُّرق فى أقرب الناس إليه ، لمجرَّد أنه يحاول إنقاذ كوكبه .

أفرغ (نور) حزنه ويأسه وألمه من عينيه ، ثم نهض وقد ازداد حزمًا وعزمًا ، وجمع الرَّماد فى عناية ، ثم تناول المربع الشفَّاف ، ودسَّه فى جيب سترته ، وألقى نظرة حزينة على ردهة منزل (صبرى) ، ثم غادره وقد ازداد إصرارًا على مقاومة الغزو .

* * *

عقد مدير أمن القاهرة أصابع كفيَّه أمام وجهه ، وتأمَّل ملامح المهندس (مجدى) لحظة فى صمت ، ثم سأله :

ــ هل أنت واثق أنه ذلك القاتل المجنون ، الذى ينتحل شخصية الرائد (نور) ؟

أجابه المهندس (مجدى) :

ــ كل الثقة يا سيِّدى ، إن شاشات الصحف المرئية تذيع صورته عشر مرات يوميًّا .

نظر مدير الأمن فى ساعته وقال :

ــ إنها العاشرة والنصف صباحًا ، وأنت تقول إنك أنزلته فى المعادى الجديدة فى الرابعة والربع .. فلماذا لم تُبلغنا حينذاك ؟

أجابه المهندس (مجدى) :

ــ لقد كنت متوتِّرًا للغاية يا سيِّدى .

مطَّ مدير الأمن شفتيه ، وهزَّ رأسه فى أسف ، ثم ضغط أزرار التليفديو الموضوع فوق مكتبه ، وقال :

ـــ أريد محاصرة القاهرة تمامًا ، لا تسمحوا لأى كائن من كان بمغـادرتها بأى وسيلـة ، فتشوا كل السيارات الصاروخية ، كل الطوَّافات والحوَّامات ، والقطارات البرقيَّة ، لا أريد أن يغادر القاهرة مهما كان الثمن .

ثم التفت إلى المهندس (مجدى) ، وقال فى ثقة :

ـــ سيقع فى أيدينا ولا ريب أيها المهندس ، إنه لن يفلت من بين أيدينا اللهـم إلَّا إذا تحوَّل إلى جرثومة صغيرة ، وفى هذه الحالة أيضًا لا يمكننى الجزم بفراره .

وأردف وهو يبتسم فى ثقة متزايدة :

ـــ لقد انتهى أمره يا سيِّد (مجدى) .. اطمئن .

* * *

فى تلك الحجرة الصغيرة فى باطن الجبل ، قال (رمزى) وهو ينظر إلى (سلوى) و (محمود) :

ـــ صحيح أنه نجح فى الفرار هذه المرة أيضًا ، ولكنها ستكون الأخيرة ، وإلَّا غضب منَّا السَّادة الزُّرق .

سألته (سلوى) :

ـــ وماذا سنفعل الآن ؟.. لقد ازداد خطورة ، فلقد تسبَّب فى فشل عملية (السماء المظلمة) .. وهو الآن يعلم كل شىء عن السَّادة .

قال (محمود) :

ـــ لقد قرَّر السَّادة الزُّرق إلغاء هذا المركز ، سينقلونه إلى مكان آخر بالقرب من جبال (أسوان) ، وهو لا يعلم إلَّا هذا المكان ، ولن يمكنه أن يفعل شيئًا .

قال (رمزى) فى اهتمام :

ـــ لابدَّ من إرضاء سادتنا الزُّرق ، لابدَّ أن نحمل إليهم رأس الرائد (نور) على طبق من فضَّة .

سألاه فى آن واحد :

ـــ وماذا تقترح يا (رمزى) ؟

ضمَّ كفيَّه خلف ظهره ، وقال فى شراسة لم تكن يومًا من طباعه :

ـ شيء واحد يمكنه أن يهزم (نور) ، ويجعله يتخلَّى عن إنقاذ الأرض ومن عليها .

سألاه فى اهتمام :

ـ أى شىء هذا ؟

أجاب ، وعيناه تتألَّقان ببريق وحشى :

ـ ابنته .. ابنته (نشوى) .

* * *

مسكين أنت يا (نور) ..

الحلقة تضيق حول عنقك ..

والأرض تقترب من الضَّياع ...

لقد فقدت زوجتك ورفاقك وعملك ..

فقدت الأمان والأمن والشرعية ..

ولكنك أمل الأرض الوحيد ..

لابدَّ لك أن تتحمَّل ، وتقاتل ..

أن تقاوم ، وأن تناضل ..

من أجل الأرض .. وأهل الأرض ..

نهاية الجـــزء الثـــانى

العـــدد القـــادم

الجـــزء الثـــالث

[من وراء النجـــوم]

رقم الإيداع ٣٢١٥